الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
المركز الجامعي - ميلة -

المعهد: الآداب واللغات

الميدان:اللغة والأدب العربي

عنوان المذكرة:

الاتجاه القومي في الشعر الجزائري" محمد العيد آل خليفة أنموذجا."

مذكرة تخرج لنيل شهادة ليسانس نظام جديد
شعبة الأدب العربي

إعداد الطالب:
الياس دراجي
فريد عياد
محمد قشي

إشراف الأستاذ:
عبد الكريم طبيش

السنة الجامعية:2010. - 2011

شكر وتقدير

نقف وقفة احترام وتقدير لاستأذنا الفاضل: الأستاذ عبد الكريم طبيش الذي تفضل بالإشراف على هذا البحث، ونتقدم له بأسمى معاني التقدير وأرقى عبارات الشكر والعرفان، عما أسدى لنا من توجيهات ونصائح، وعن دعمه وتشجيعه حتى اكتمل هذا البحث.

كما نشكر الاستاذ الغالي: نوري خذري الذي لم يبخل علينا ببعض النصائح.

وشكرا

فهرس المحتويات

شكر وتقدير

الإهداء

مقدمة :.....أ- ث

1- الفصل الأول: القومية وأنواعها

أ- القومية لغة واصطلاحا.....ص6
ب- القومية في أوروبا.....ص9
ت- ظهور القومية في البلاد الإسلامية ص10
ث- القومية عند اليهود ص11
ج- التطور التاريخي لفكرة القومية.....ص12
ح- القومية الإسلامية.....ص13
خ- فلسطين في شعر محمد العيد.....ص22

2- الفصل الثاني: حياة الشاعر وآثاره في نشر الوعي القومي.

أ- مولد الشاعر ونشأته.....ص26
ب- مكانة الشاعر في الساحة الأدبية.....ص28
ت- قضايا عربية في شعر محمد العيد.....ص30
ث- آثاره.....ص31
ج- الدفاع عن اللغة العربية.....ص33
ح- مكانة الشاعر بين معاصريه قبل الاستقلال.....ص35
خ- مكانة محمد العيد بعد الاستقلال.....ص36

3 - الفصل الثالث:الجانب الفني في شعر محمد العيد آل خليفة.

أ- المعجم الشعري.....ص42
ب- الموسيقى الشعرية.....ص46
ت- الصورة الفنية.....ص54

خاتمة ص64

المصادر والمراجع.....ص65

مقدمة:

إن الدور الذي مثله الشعر القومي لا يغيب على أصحاب الألباب، فقد كان الشعلة التي حركت الغافلين وأحيت تلك العاطفة النائمة في قلوب الأمة العربية والإسلامية عامة، والجزائرية خاصة ولا سيما في عصر الانحطاط والنكسة العربية، فقد تمكن من دغدغة عواطف الشعوب العربية والإسلامية، و أحيا فيها النخوة والغيرة، ولا شك أن أصحاب هذا الاتجاه الشعري ليسو شعراء، فقد كانوا رجالا مصلحين وقوميين جاء شعرهم صادقا، له صدى واسع لدى الشعوب العربية والإسلامية واثر في نفوسهم كثيرا، نفث فيهم روح الجهاد وكراهية المستعمر، ولا يغيب عنا ما دفعه هؤلاء الأدباء من جراء نضالهم ودفاعهم عن شعبهم، فقد تفنن المستعمر، في استعمال القمع بشتى أنواعه: التشريد، التعذيب، النفي، الحرق، الدمار...لكنهم عاشوا كالجبال الراسيات،لم يزدهم ذلك إلى إصرارا وتضحية، كما أنهم أصبحوا في أعين الشعب قدوة ومبراسا، وصار شعرهم أناشيد تردد في ساحات الوغى.

لقد دفعنا إلى اختيار هذا الموضوع دافعان:

- الميل إلى الأدب الجزائري، ولم يكن هذا الميل تعصبا، بل كان نابعا من قناعتنا انه لعب دورا فعالا على المستوى المحلي والخارجي، كما انه أحيا الوطن والأوطان العربية عندما انتكس الزعماء، ونشر العلم بعدما أضحى الجهل مسيطرا على الأمة الجزائرية.
- نزع تلك القبلية من عيون إخواننا العرب الذين ينظرون إلى الأدب الجزائري انه خليط أوروبي، نجم عن تأثر الأدباء بالفترة الاستعمارية، فقد ظن الكثير من الأدباء العرب في فترة ما قبل الثورة الجزائرية أنه لا يوجد أدباء جزائريون بالمعنى الحقيقي، فقد قال طه حسين أمام المجمع اللغوي في جلسة من جلساته:" إن الاستعمار الفرنسي نال من الكتاب الجزائريين إلى درجة أنهم فقدوا قوميتهم العربية "، فكانت كلمة من القساوة بمكان ، كما شعرنا كلما تحدث الأدباء عن الأدب إلا وتناسوا الأدب الجزائري، وغضوا عليه الطرف وكان ذلك يحز في قلوبنا ونرى انه انتقاص للجزائريين الأبطال.

ومن هذا المنطلق ارتأينا أن يكون موضوع بحثنا عن الاتجاه القومي في الشعر الجزائري حيث جئنا بنموذج لإعطاء صورة واضحة أو كمثال على أن الجزائر تملك شعراء في هذا الاتجاه وهو الشاعر الكبير محمد العيد آل خليفة ذلك النجم الساطع في ليلة ظلماء، إذ أن شعره القومي يحرك الشعوب العربية ضد الاستعمار الغاشم ولذلك عالجنا أفكاره الإصلاحية والقومية في الشعر الأصيل، ولا شك ان ذلك كله نابعا من إيمانه العميق الراسخ الذي لا يتزعزع بالله تعالى وحبه لوطنه.

ومن اجل هذا كله رأينا انه من الواجب علينا أن نذكّر بهؤلاء الرجال وبالجهود الكبيرة التي كانوا يقومون بها .

ومن الدوافع التي جعلتنا نختار هذا البحث والخوض فيه وتقديم جزء صغير في هذه الدراسة هو غياب مثل هذه الدراسة في المكتبة الجزائرية إذ انه قليل ما نجد مثل هذه الدراسات.

ومن أجل هذا كله رأينا انه من الواجب علينا كباحثي علم أن نذكر هؤلاء الرجال وبالجهود التي كانوا يقومون بها من أجل إعطاءنا لمحة عن الشعر الجزائري ومن أمثال هؤلاء جهود صالح خرفي ودوره في نشر الوعي القومي في الشعر الجزائري، كذلك جهود عبد الله الركيبي في قضايا عربية معاصرة كالثورات العربية، إلا أن هذه الدراسات لم تتناول الموضوع من الزاوية التي سننجز بحثنا فيها.

وقد بقينا محتارين من أي جانب نتناول جزءا من شعره، ولكن بتوجيه من أستاذنا المشرف عبد الكريم طبيش، جزاه الله عنا بكل خير، تم الاتفاق على دراسة الاتجاه القومي في الشعر الجزائري وكأنموذج لذلك اعتمدنا على شعر محمد العيد آل خليفة، كما اعتمدنا في بحثنا على المنهج التاريخي وكذا الفني لأنهما يناسبان مثل هذه الدراسة.

وقد اشتملت هذه الدراسة على: مقدمة وثلاث فصول وخاتمة.

أما في الفصل الأول فقد تحدثنا عن:

القومية وأنواعها، أما الفصل الثاني فقد تضمن ما يلي: حياة الشاعر وأثاره في نشر الوعي القومي، أما الفصل الثالث فكان لدراسة عناصر البناء الفني للشعر القومي والخصائص التي تميزه، وذلك من خلال المعجم الشعري والصور الفنية والبنية الإيقاعية، وختمنا الدراسة بخاتمة احتوت على النتائج المتوصل إليها ونوجزها فيما يلي:

1- المقدمة

2- الفصل الأول: القومية وأنواعها

1- القومية في اوروبا

2- القومية عند اليهود

3- التطور التاريخي لفكرة القومية

4- القومية الاسلامية

3- الفصل الثاني: حياة الشاعر وأثاره في نشر الوعي القومي

4- الفصل الثالث: الجانب الفني في شعر محمد العيد آل خليفة.

5- الخاتمة.

وقد اعتمدنا في بحثنا هذا الموسوم بالاتجاه القومي في الشعر الجزائري على مصادر ومراجع رأيناها مهمة جدا، وهي ديوان محمد العيد أل خليفة، وشاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة للدكتور أبو القاسم سعد الله، وكتاب قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر لعبد الله الركيبي وكتاب الشعر الجزائري الحديث لصالح خرفي وكذا رسالة ماجستير ملامح المقاومة ضد الاستعمار في شعر محمد العيد آل خليفة.

وقد واجهتنا بعض الصعوبات في بحثنا هذا مثل قلة الدراسات حول الشعر القومي الجزائري ولكن بشيء من الصبر وبذل المزيد من الجهد وبتوجيه الأستاذ عبد الكريم طبيش، استطعنا أن نتخطى الصعاب.

ويأتي بحثنا هذا كمعالجة بسيطة جدا غير أنها يمكن أن تفسح المجال لغيرنا من الباحثين في دراسة الاتجاه القومي في الشعر الجزائري للكشف عن الحقيقة التي لم نصل إليها، وربما نكون قد وصلنا إلى إنهاء هذا البحث، والذي نتمنى أن يكون لبنة جديدة تضاف إلى سابقاتها في ميدان البحث العلمي.

وفي الأخير لا يسعنا إلا أن نتوجه بالشكر والتقدير والعرفان إلى كل الذين مدوا يد العون ولو بكلمة طيبة ، كما لا ننسى الإدارة بكل موظفيهاالتي كان لها الفضل فيما نحن عليه اليوم وذلك من خلال الجهود المبذولة من طرفهافي سبيل الرقي بهذا المركز الى مصاف الجامعات الكبرى.

ولله الأمر من قبل ومن بعد فهو ولي التوفيق وهو العاصم من الزلل والهادي إلى سواء السبيل.

القومية لغة:

(قوم): القيام: نقيض الجلوس،قام يقوم قوما وقياما وقومة وقامة، والقومة المرة الواحدة قال ابن الأعرابي: قال عبد لرجل أراد أن يشتريه: لا تشريني فاني فإذا جعت أبغضت قوما وإذ شبعت أحببت نوما، أي أبغضت قياما من موضعي، قال:

قد صمت لربي، تقبل صامتي

وقمت ليلي، فتقبل قامتي

ادعوك يا رب من النار التي

أعددت للكفار في القيامة.

قال بعضهم: إنما أراد قومت وصومتي فأبدل من الواو ألفا، وجاء بهذه الأبيات مؤسسة وغير مؤسسة، وأراد من خوف النار التي أعددت، و أورد ابن بري هذا الرجز شاهدا على القومة فقال:

قد قمت ليلي، فتقبل قومتي

وصمت يومي، فتقبل صومتي

ويقول ابن الهيثم:القامة جماعة الناس، والقامة أيضا: قامة الرجل، وقامة الإنسان وقيمته وقومته وقوميته وقوامه:شطاطه: قال العجاج:

أما تريني اليوم ذارثيه

فقد اروح غير ذي رذية

صلب القناة سلهب القومية

القومية: القوام أو القامة. الأصمعي: فلان حسن القامة والقمة والقومية بمعنى واحد، فانشد، فتم من قوامها قومي

ويقال: فلان ذو قومية على ماله وأمره. ونقول: هذا الأمر لا قومية له أي لا قوام له.

القوم: القصد، قال رؤية: واتخذ الشد لهن قوما.[1]

1- ابن منظور: لسان العرب، ج 11، ص323،325.

مفهوم القومية اصطلاحا:

لعل التعريف الأكثر مباشرة للقومية هو لجيلنر الذي يرى أن القومية "**هي أساساً مبدأ سياسي يقوم على ضرورة التطابق بين الوحدة السياسية والوحدة القومية** " [1] . وتعرّف القومية في شكلها الأحدث والأكثر انتشاراً الأمة انطلاقاً من أسس علمانية وثقافية، وهي تساوي بين الأمة و بين مجموعة من الناس يملكون لغة مشتركة وبالتالي يتشاركون في عناصر من تقاليد ثقافية شفهية و كتابية مشتركة تعرفهم وتمكنهم من تأليف وحدة سياسية مستقلة وموحدة. ويفترض أن هذا هو ما وضع الأطر للدول القومية القوية في أوروبا، ويفترض أن يكون أيضاً قاعدة تكوين الدول في سائر أنحاء العالم. ويفترض أيضاً أنه ليس هناك من طريقة أخرى لتنظيم الحياة السياسية الحديثة سواء على المستوى الداخلي أم على المستوى العالمي.

لكن من المهم أن نلاحظ أن التاريخ لم يشهد إلا نادراً حالات تطابق بين المجموعات اللغوية "القومية" وبين الوحدات السياسية. فهو شهد في أكثر العصور مستويين من التنظيم السياسي: المستوى المحلي والمستوى الإمبراطوري. "**ففي المستوى الأول كان التنظيم السياسي يقوم على قاعدة القبيلة أو القرية أو المدينة أو الملة الدينية، أما على المستوى الأشمل فكان التنظيم السياسي يتم في أكثر الأحيان من خلال قوة عسكرية مركزية لا تهتم بمعظم الشؤون الداخلية بل تعمد إلى استخراج الريع للحفاظ على إمبراطوريتها الكبيرة.**" [2] وعلى الرغم من أن بعض هذه الإمبراطوريات قد اكتسب زخمه على مستوى النخب الحاكمة من روابط اللغة والثقافة (كالإمبراطوريات الفارسية واليونانية والرومانية) أو الدين (كالإمبراطوريتين البيزنطية والإسلامية)،

1- افتتاحية بول سال: مفاهيم القومية والحالة العربية، العدد الثالث، أيار _ مايو 1995، ص4.

2- افتتاحية بول سالم: ن م، ص5.

إلا أن أيا منها لم يحدد حدود إمبراطوريته على قاعدة لغوية. وبكلمات أخرى، فان نمط التنظيم السياسي في التاريخ كان يتألف إما من وحدات سياسية أصغر كثيراً من المجموعة اللغوية أو أكبر كثيراً منها. ونادراً ما نجد وحدة سياسية تتطابق مع المجموعة اللغوية.

ومن المهم أن نلاحظ أننا نجد حتى في العصور الحديثة، حيث باتت القومية الثقافية قوة إيديولوجية وتنظيمية قوية، أشكالاً مختلفة عدة من الدولة – اللغة. فمن (الدولة الواحدة/ اللغة الواحدة) كما في (إيطاليا/ اللغة الإيطالية) إلى (اللغة الواحدة/ دول عدة) مثل (الإنجليزية/ المملكة المتحدة والولايات المتحدة واستراليا ونيوزيلندا) و(الألمانية/ ألمانيا والنمسا) و (الإسبانية/ إسبانيا والأرجنتين والتشيلي وكولومبيا وفنزويلا والباراغواي و الاورغواي وكوستاريكا وغواتيمالا والسلفادور والمكسيك) و(العربية/ المغرب والجزائر وتونس وليبيا ومصر وسوريا والأردن)، إلى (اللغات المتعددة في الدولة الواحدة) مثل (كندا والهند والاتحاد السوفياتي السابق وماليزيا وإندونيسيا وسويسرا وبلجيكا ونيجيريا وناميبيا والسنغال وجنوب أفريقيا).

وبكلمات أخرى فانه على الرغم من نجاح صيغة (الدولة الواحدة/ اللغة الواحدة) وخصوصاً في بعض أنحاء أوروبا وشرق آسيا إلا أنها لم تكن الصيغة الناجحة الوحيدة أو الأساس الوحيد لرسم حدود الدولة القومية الحديثة.

" **اننا لا يمكن أن ننكر أن ظاهرة القومية اللغوية والثقافية كانت قوة فاعلة في السياسة الحديثة في غير مكان من العالم، وبالتالي فانه يتعين علينا أن نذكر بعض الاتجاهات أو المدارس الفكرية وطرائق فهمها للظاهرة القومية في العالم.**"[1]

1- افتتاحية بول سالم: المرجع نفسه، ص7.

القومية في أوروبا:

إن القومية لم تكن معروفة في أوروبا على الإطلاق إنما كان الأصل فيما يسميه المؤرخون في العصور الوسطى هو الدين، وكانت القاعدة في التعامل هي الدين، "**ولقد ظهرت هذه الفكرة بشكل وطني مع ظهور الثورة الفرنسية ولم يكن لها أي طابع ديني وكان من مبادئ هذه الثورة، إن الناس جميعا متساوون في الوطنية فلا ينظر في أديانهم وعقائدهم، أن هذه الفكرة كانت جديدة على الناس سواء في بلاد الغرب أو الشرق إلا أن الناس إنما يتفاضلون بحسب الدين و وكل إنسان يرى انه أفضل من غيره دينا.**" [1]

إن هؤلاء المفكرين الذين وضعوا أفكار الثورة الفرنسية كانوا معادين للدين لأسباب وظروف خاصة، فكانوا يأخذون من الفكر اليوناني القديم و من الأفكار التي ظهرت في أوروباونمت وترعرعت شيئا فشيئا بعد ظهور حركة الإصلاح الديني، فلما كان هذا الفكر بعيدا عن الدين جمعوا الأم– كما يزعمون – على أساس وطني حتى صارت هناك دول أصبحت الوطنية والقومية فيها شيئا فشيئا و دول و مجتمعات أخرى أصبحت "**القومية فيها أوسع و أعم من الوطنية و أوضح مثال الدول العربية ، حيث صارت الوطنية أضيق من مفهوم القومية، فهناك مثلا وطنية مصرية و وطنية عراقية و وطنية سورية ، فهذه كلها وطنيات و لكن يجمعها قومية واحدة هي القومية العربية .**" [2]

لقد ترعرعت الأفكار القومية في معظم دول أوروبا ، فأصبح لكل دولة شعراؤها و شعاراتها و رموزها و تاريخها و مفاخرها و ابتعدت كل واحدة عن الأخرى ابتعادا شديدا بعد أن كانت أوروبا قبل الثورة الفرنسية و قبل حركة مارتن لوثر كلها أمة واحدة يجمعها دين واحد فتشعبت تشعبا شديدا

1- سفر الحوالي:القويمة العربية ، مكتبة مشكاة الإسلامية ،ص2.

2- سفر الحوالي: م ن،ص3.

ظهور القومية في البلاد الإسلامية:

في هذه الفترة كان العالم الإسلامي كله أو على الأقل ما يوازي منه أوروبا – الذي هو منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط – تحت حكم الدولة العثمانية ، و لم يكن يعرف المسلمون أي شيء عن الفكرة القومية و لا الوطنية إلا أن ظهرت في مصر.

ظهرت الوطنية المصرية و الافتخار بمصر و أمجادها و بالفراعنة و ما قبل الفراعنة تأثرا بالذين تأثروا بفكرة الوطنية الفرنسية،" **وقد نشأت في مصر دعوة قوية جدا إلى الوطنية و كانت كل الأحزاب على اختلافها تدعو أو تفخر بالوطنية و كان الأصل في الافتخار هو نوع من الوطنية و نوع من الامتزاج بالقومية.**" [1]

ثم ظهرت فكرة القومية العربية و القومية التركية ، و أول من دعا إلى القومية العربية و أظهرها كقومية عربية هم النصارى العرب، و هؤلاء النصارى أكثرهم في بلاد الشام ، أما الأقباط الذين كانوا في مصر فلم يكونوا يفكرون في قومية عربية و لا حتى في وطنية مصرية و كان همهم هو التبعية للغرب و للمستعمر.

و الذي حدث أن الدولة العثمانية ضغطت على نصارى الشام و آذتهم فهاجرت طوائف منهم إلى مصر و هناك أسسوا جريدة الأهرام و مجلة المقتطف و بدءوا يبثون الفكر القومي في مصر.

1– سفر الحوالي: المرجع نفسه، ص4.

القومية عند اليهود

إذا أردنا أن نرجع إلى تاريخ القومية القدم فإننا نجد أكثر الناس غلوا في القومية و العنصرية و لا يزالون إلى اليوم هم اليهود ، فربما يكون لليهود السبق في تعليم غيرهم من الأمم التعصب العربي الذميم المغال فيه جدا ، فإن الأمم الأخرى و إن كانت كل أمة تتعصب لأميتها ، إلا أنها لم تبلغ حدا يوق اليهود ، و إنما أكثر الأمم قومية ظهرت تبعا لليهود ، كما حدث للقومية النازية في ألمانيا أو الفاشية في إيطاليا فهي قد ظهرت متأثرة بالفكر اليهودي.

و اليهود هم أكثر الناس عنصرية و قومية و قد ذكر الله تعالى عنهم ما يدل على ذلك في القرآن الكريم " **و قالت اليهود و النصارى نحن أبناء الله و أحبائه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق** ". [1]

فيدعون أنهم أبناء الله و أحباؤه، و هذه القومية عند اليهود إنما جاءتهم من فهم باطني للتوراة و تحريف لبعض نصوصها، أو من ابتداعهم في الكتاب الكبير الذي ابتدعوه ، و اتبعوه أكثر من التوراة " **التلموذ** ". [2]

و من آثار القومية و العنصرية عند اليهود هو اعتقادهم أنه لا يمكن أن يكون نبي إلا من بني إسرائيل.

1- سورة المائدة، الآية 18.

2- كتاب اليهود المحرف عن التوراة.

التطور التاريخي للفكرة القومية:

تعتبر حملة نابليون النقطة الأولى في بداية تحويل العرب من الإسلام أي القومية و قد اختمرت هذه الفكرة في ذهن نابليون على أثر المقاومة التي حركها الأزهر بنداء " **الله أكبر**" و قد أقتنع الغرب بهذه الفكرة ، و خرج الفرنسيون من مصر سنة 1904م و جاء محمد علي باشا ، و كان يتيما طموحا ذكيا و لكنه كان أميا ، فأراد أن يحضر إلى مصر و أن يطورها فقضى على المماليك و نودي به حاكما على مصر.

كان محمد على باشا معجبا بالفرنسيين، منذ صغره على صلة بفرنسي اسمه (ليون)، ثم استقدم إلى مصر د.(كلوت) الطبيب مستشاره فأشار عليه بفكرة القومية "**و قد عني كلوت بأن يطبع الطلاب في المدارس العليا التي كان يديرها على الشعور الصحيح بالقومية العربية**" [1]، و بدأ محمد علي يرسل البعثات إلى فرنسا فرجعت هذه البعثات تحمل بذور الفكرة القومية و من بين هؤلاء رفاعة الطهطاوي الذي أقام في باريس 1826-1831 فحمل فكرة الثورة الفرنسية القومية .

إبراهيم باشا في بلاد الشام :

كان محمد علي باشا يطمع في إمبراطورية عربية تنفصل عن الحكم العثماني و قد زين له هذا الأمر الغرب (الفرنسيون بالذات) فأرسل ابنه إبراهيم باشا و احتل الشام كلها ، و مكث حكم إبراهيم في بلاد الشام 7 سنوات 1833-1840 و قد كان لهذه السنوات أثر عميق في تغيير مجرى الأحداث في الشام ولمدة قرن و نصف فماذا صنع إبراهيم باشا في الشام ؟

لقد قام إبراهيم باشا بإلغاء الأحكام الإسلامية المطبقة على النصارى في الشام و نادى بمساواتهم بالمسلمين و كذلك فعل أبوه في مصر، كما شجع الجمعيات التبشيرية و مدارسها أما أبوه في مصر فكان جلساؤه دائما من السفراء و السائحين و المنصرين.

1- عبد الله، عزام: القومية العربية ، ص4

القومية الإسلامية :

يعد مفدي زكريا من الشعراء الذين بقوا يتغنون بانتمائهم للجزائر والى الإسلام والعروبة ،فتحت رايتهما تصدت كتائب جيش التحرير للمستعمر مستلهمة مبادئها وأهدافها وسلوكها من الأصول الإسلامية وروح الشريعة، جاءت من الجهاد في سبيل إعادة البلاد إلى نهج العروبة والإسلام واتخاذهما مبدأ مقدسا امن به رجالها إيمانا لا يتزعزع، وقد بلغ من التزامن المجاهدين بقدسية التضحية والفداء التي نص عليها الكتاب والسنة .

ومن ثم كان للدين الإسلامي الحنيف الباع الطويل في شحذ الهمم والتفاف الشعب حول قادة الفاتح من نوفمبر بعد أن مهد العلماء المسلمون الجزائريون للثورة بنشر العقيدة وبث الوعي بمقاصدها، وعلى رأسهم الشيخان عبد الحميد بن باديس ومحمد البشير الإبراهيمي اللذان استوعبا جوهر الدين الحق، وحاربا البدع والضلالات التي أشاعها التخلف والاستعمار وعرفت باسم " الطرقية " **كما قاوما النزعة الإقليمية المعادية للعروبة والتي غرسها الفرنسيون، وبشرا بالجانب الإنساني للإسلام، ونشر التعليم باللغة العربية التي استخدم الاستعمار كل الوسائل للقضاء عليها وطمس الشخصية الجزائرية .**" [1]

ومن الشعراء الذين تحدثوا كثيرا عن العروبة نجد الشاعر الكبير الشاعر، شاعر الثورة الجزائرية مفدي زكريا، حيث اعتبر الجزائر أنها رمزا للعروبة والمقاومة المسلحة وذلك في قصيدة له كتبها خصيصا وهو يتحدث فيها عن العروبة والجزائر كما أن فيض إيمانه بعروبة الجزائر التي أراد المستعمر أن يقضي عليها ويستأصل جذورها الضاربة في أعماق التاريخ ضد الفتح العربي الإسلامي، فيبدع شاعرنا أنغامه العذبة الجياشة واصفا الجزائر بأنها قلب العروبة حيث يقول:

1- حسن، فتح الباب: مفدي زكريا شاعر العروبة والإسلام في الجزائر، مجلة الأدب الإسلامي، العدد 18،ا لمجلد 5، 1419،ص139.

" قلب العروبة لم يعصف بنخوتها عسف ولا نال من إيمانها رهـــــــــــــــــــــــــــق

نادى المنادي إلى التحرير يدفعها فاستصرخت من قيود الحجر تنعتق

ثارت على الظلم مثل السيل جارفة قل الفيالق تشنيها ولا الفـــرق. " [1]

في هذه القصيدة يفاخر بشعبه الذي دافع عن الجزائر وضحى بكل ما يملك من مال وغير ذلك وبالتالي فانه ألح على أن حياة الحق والعدل والكرامة تعادل حياة الشعب.

وأما بالنسبة للكلام عن شعراء الجيل الجديد نرى أنهم أيضا قد عبروا عن نفس القضايا وكذلك ساروا في نفس المنهج – خط العروبة والوحدة – وان كانت ظروفهم تختلف عن سابقيهم من خلال اختلاف بيئتهم الأدبية والثقافية وهذا ما ترك أثره على إشعارهم أما من جهة المضمون أو من جهة الشكل أو من حيث مدى وعيهم بهذه القضايا.

ومن الشعراء الذين تغنوا بالعروبة وبالوحدة العربية وتناولوا الشكل الجديد في الشعر واهتموا ونظروا للقومية العربية نظرة واعية عميقة، فنجد الشاعر (محمد أبو القاسم الخمار) الذي كتب قصائد كثيرة تتحدث عن العروبة والقومية العربية وهذا يثبت على أن إيمانه قوي بالقومية وبالوحدة .

" ولا شك أن هناك عوامل كثيرة أسهمت في تكوين نظرته، تتصل ببيئته وثقافته وعصره، فهو شاب عاش المد الثوري في العالم العربي بعد الخمسينيات وتفتحت مشاعره عليه ". [2]

كما يعتبر الشاعر من الذين عاشوا أيام انتصارات القومية العربية والمتمثلة في الثورات الكثيرة التي اندلعت في العقدين الأخيرين وكذلك عاش أيام الوحدة فكان لهذا كله الأثر البالغ على نفسه وشعره .

1- عبد الله، الركيبي : قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر، المؤسسة الوطنية للكتاب ،عام 1983 ،ص 29.

2- عبد الله، الركيبي: م ن، ص30.

إن ركائز أي مجتمع من المجتمعات هي الدين واللغة ، فالدين الإسلامي يعد بمثابة الدرع المنيع للأمة الإسلامية والقومية العربية الإسلامية لأنه يحفظها من التشتت ، لذلك سعى الإستعمار بشتى السبل من أجل إبعاد الشعب الجزائري عن القومية الإسلامية، فنجد محمد العيد آل خليفة مثلا يحث الشعب على التمسك بالدين الإسلامي و القومية العربية الإسلامية التي كانت ضحية الإستعمار، و يعد الشاعر أيضا من بين أبرز الشعراء الذين دافعو بقوة عن القومية الإسلامية و هذا ما نلمسه في قصيدته (صدى الصحراء) سنة 1924م و التي يقول فيها :

"أفيقوا فهذا الدين بين ربوعكم تنازله الأحداث شر نـــــــــزال

تحاول نكباء الضلالة نسفه و ترميه أشلاء الردى بنبـــــال

فقوموا مقامات الدفاع حياله ليؤمن من هذا الدين كل ضلال" (1)

فمهمة الشاعر تكمن في تنبيه الناس و ايقاضهم من غفلتهم و سباتهم لكي لا يحقق الإستعمار نجاحه في مؤامرته الدنيئة ضد الإسلام و ضد القومية العربية و الإسلامية، و الدعوة إلى الإلتزام بالدين و المساهمة في نشره، و قد حافظ محمد العيد آل خليفة وناضل ضد الإستعمار الذي حاول إبعاد الشعب الجزائري عن الإسلام و هذا ما يتجلى في شعره حيث قال:

" هيهات لا يعتري القرآن تبديل و إن تبدلت توراة و إنجيـــــل

قل للذين رموا هذا الكتاب بما يتفق معه شرح و تأويـــــــــــــــــــل

هل تشبهون ذوي الألباب في خلق إلا كما تشبه الناس التماثيـــل

فاعزوا الأباطيل للقرآن و ابتدعوا هيهات لا تجدي الأباطيـــــــــــــــــــل" [2]

1- العيد محمد(آل خليفة) : الديوان،ط1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، مطبعة البعث قسنطينة1967، ص13 .

2- العيد محمد(آل خليفة) : م ن، ص 85 ،67.

فمحمد العيد آل خليفة يقرر في قصيدته هذه بأنه لا يمكن التأثير على القرآن أو تحريفه مثلما حرفت التوراة و الإنجيل من طرف اليهود و النصارى و هم عبارة عن تماثيل صماء و لا يمكنهم مس النص القرآني بشيء و هذا كله ما يجعل المسلمين متماسكين فيما بينهم .

بعد الحرب العالمية الأولى قامت في البلاد العربية ثورات كانت بمثابة البداية الحقيقية لانتشار الوعي القومي، حيث كانت الفكرة القائمة والسائدة في تلك الفترة هي الانفصال والابتعاد عن الأتراك،باعتبار أن هناك قوميتين منفصلتين ومختلفتين في المميزات جنسا ولغة وحضارة وثقافة فمثلا ثورة"**الشريف حسين**". [1] كانت لها الأثر البالغ في العالم العربي،إذ نجد أن" **فكرة القومية العربية هي كحركة تمثل الحل الحقيقي لمختلف الصعوبات التي كان يعيشها العالم العربي، فرغم انه هناك مجموعة ممن دعت إلى هذه الفكرة قد تعرضوا للقتل والشنق من طرف الأتراك بالشام، أما بالنسبة للحكام فقد كان همهم الوحيد بعد الحرب العالمية الثانية هو المشاكل الداخلية والقضايا المحلية وما إن اندلعت الحرب العالمية الثانية.**" [2]

بدأت الانتفاضات تسود البلدان العربية حتى ظهرت فكرة القومية العربية والتي اعتبرت بهدف ومبدأ لتحرير الوطن العربي من النفوذ الاستعماري وتخليص المواطن من عقدة استغلال الطبقة الحاكمة والإقطاع المرتبط بالنفوذ الأجنبي.

1- هي ثورة قام بها الشريف حسين حاكم مكة ضد الدولة العثمانية في يونيو عام 1916 بدعم من بريطانيا خلال الحرب العالمية الأولى.

2- *عبد الله الركيبي : قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر ، المؤسسة* الوطنية للكتاب، عام 1983 ص .13

إن هناك الكثير من الأدباء والشعراء من خلال قصائدهم ومقالاتهم ومسرحياتهم من أرجح أن فكرة القومية هي فكرة قديمة فدم الحضارة العربية الأولى، والتي كان هؤلاء يكتبون قصائدهم، والتي تعبر عن "**الحنين إلى الشرق والى الماضي العربي والذي يجمع بين الجزائر والأقطار العربية الأخرى**" [1].

إذ نجد أن ما من قصيدة أو مقالة تكتب وتنشر إلا ويكون كلامها عن الجزائر وصلتها بالعالم العربي والشيء المهم الذي يجب الإشارة إليه هو قيام جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والتي أخذت على عاتقها إيصال فكرة أن الإحساس بالقومية وباللغة العربية هو السبيل الوحيد والصحيح من اجل المحافظة على الوطنية والوطن، كما انه " **سبيل الجزائر لاسترجاع ذاتيتها وكيانها المستقل ووجودها الذي أراد الاستعمار القضاء عليه ومحوه من الوجود**" [2]

إن هذا كله جعل من جميع الشعراء والكتاب يلحون على أن اللغة العربية يجب التشبث بها باعتبار أنها المقوم الذي يصون للجزائر شخصيتها الوطنية والقومية معا .

عند قيام الثورات في العالم العربي كان لابد من حركات تنظم وترشد الشعب وهذه الحركات متمثلة في الحركات السياسية والإصلاحية والتي كان لها دورا كبيرا في نشر التوعية والثقافة بالنسبة للشعب، وهذا ما كان سببا في مواكبة الشاعر العربي لمختلف الأحداث حيث نجد انه تناول في تلك الفترة عدة مواضيع حساسة كان فيها الكتاب والأدباء مختلفين حولها.

1- عبد الله، الركيبي : قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر، المؤسسة الوطنية، للكتاب،عام 1983 ص14.

2- عبد الله، الركيبي: م ن، ص14.

وفي تلك المواضيع مثلا نجده يتحدث عن الفرنسة والإدماج ورفضهما كذلك للظلم والاستبداد والسيطرة الظالمة، ومن الأشياء المهمة التي دعا إليها الشاعر هو تعليم المرأة وتثقيفها كما ناد إلى إعادة إحياء التراث العربي وأكد على فكرة العروبة والإسلام. وهناك من الشعراء العرب من كان لهم الحظ والمشاركة في عدة مؤتمرات أقيمت خصيصا للدعوة إلى الوحدة الوطنية، كما أن الشاعر قد عبر بكل أحاسيسه لما وقع للجزائر حيث نالت الثورة الجزائرية ودور جبهة التحرير والجيش في الكفاح ضد الاستعمار الغاشم مكانا مهما وبارزا في شعره وهذا ما جعله يكتب قصائد للإشادة بهم.

وهناك من كان مخطئا بشان الشعب الجزائري واعتقاده بأنه لم يكن مساير للعروبة إلا بعد قيام الثورة التحريرية وانه كان يجرفه(تيار الإدماج والفرنسة)، الذي أراده له الاستعمار وذلك قصد فصلهم عن جسم العروبة وتجريده من مقومات الشخصية العربية الإسلامية، وفي الحقيقة أن هذا

الشعب الأبي وقف وقفة رجل واحد ضد الاستعمار وبقي محافظا على أصالته كشعب عربي لغته الضاد ودينه الإسلام.

" **صحيح أن الشاعر الجزائري لم يحاول أن يفلسف فكرة القومية العربية أو يتعمقها لأنه يعتبرها شيئا بديهيا مفروغا منه، والشاعر ليس في الحقيقة مسؤولا عن ذلك حسبه أن يعبر عن خوالجه وعواطفه بأسلوب مؤثر جميل ... أسلوب يؤثر فينا ويزيد من إحساسنا بما عنه من تجربة نشارك فيها ونتعاطف معه فيها وهذا ما فعله الشاعر الجزائري** " [1]

1- عبد الله، الركيبي: المرجع نفسه، ص20،21

أما بالنسبة لمفدي زكريا فانه من الشعراء الأكثر حدة في أسلوبه وتعابيره عندما يتناول ويتعرض لهذه القضايا وخاصة الثورة الجزائرية " **ربما لان طبيعته الحماسية تغلب عليه، وربما نتيجة للظروف الجديدة بعد قيام ثورة نوفمبر، بعد أن دخلت الأمة العربية مرحلة جديدة حيث تفجرت الثورات في الوطن العربي تنادي بالوحدة والقومية العربية**" [1] ففي قصيدة له بعنوان (وتعطلت لغة الكلام) يصور ذلك الحنين والشوق للعروبة وذلك التجاوب الكبير بين الجزائر وأقطار الأمة العربية كلها حيث يقول:

" **يا امة العرب الكرام، كرامة لك في الجزائر حرمة وذمـــــــــــــــــــــــــــــــام**

إن صاح في ارض الجزائر صائح لبته مصر ، وأدركته شـــــــــــــــــــــــــــام

في المغرب العربي عرق نابض يذكيه في حرب الخلاص ضـــــــــــــــــرام

عز العروبة في حمى استقلالنا أيطير (مقصوص الجناح) حمام ؟" [2]

فالعروبة عند شاعرنا هي الشجرة الأم والجزائر والعراق والشام ومصر وسائر البلاد العربية هي أغصانها المتعانقة بحكم وحدة التاريخ والمصير والنضال المشترك ضد الاستعمار، ومن قبل ضد الصليبيين ووحدة الدين واللغة والثقافة، والتطلع إلى غد أكثر إشراقا وحرية وعدلا وأمنا، ومن ثم يعد مفدي زكريا من اصدق دعاة الوحدة العربية في الأقطار المغربية، إذ ترتسم أمامه وهو ينظم أشعاره الوطنية خرقة الوطن العربي من الخليج المحيط وحدة واحدة لا تتجزأ، وحدة جديدة بأسمى آيات التضحية دفاعا عنها وصونا لكيانها .

ويستحق مفدي زكريا أن ينال شرف نعته بالمدافع الصلب عن الوحدة العربية، لا لما شدا به من قصائد في هذا الغرض فحسب، بل بما بذل وضحى في سبيل مبدئه القومي .

1- عبد الله، الركيبي: المرجع نفسه، ص26.25.

2- مفدي زكريا : اللهب المقدس ، الشركة الوطنية للإنتاج والتوزيع الجزائر ، ص32 .

ومن الشعراء كذلك نجد (احمد سحنون) الذي ألف قصيدة بعنوان " المغرب العربي" إذ انه لاحظ أن تلك النظرة الوحدوية التي سبق وان رأيناها عند الشاعر الخمار وأقرانه من الشعراء الذين سايروا وعاصرو فكرة الوحدة في الأعوام الأخيرة، فنجده يتحدث عن نضال المغرب العربي وعن الاستعمار الغاشم الذي حاول التفرقة بين أبناء هذه الأمة العربية والقصيدة التي سنذكرها لاحقا ربما قالها قبل اندلاع الثورات العربية حيث كانت فكرة الوحدة والقومية العربية ما تزال

عاطفة فقط ولم تصبح تيارا عقائديا حيث أن مطلع القصيدة ينبئ عن هدف الشاعر وفي هذا الشأن يقول:

" **للمغرب العربي صولة ضار ووثوب مقدام على الإخطار**

بالحب سوف يعيد سالف مجده وبالاتحاد يفوز بالأوطـــــــــار" [1]

ففي هذه المقطوعة الشعرية يتعرض الشاعر إلى كفاح هذه الأمم ضد المستعمر الظالم ويهدد بالثورة عليه، وكذلك جميع أطراف الشعب من مفكرين ومثقفين والطبقات الأخرى إلى الاتحاد في الرأي والى الجهاد من اجل نيل الحرية .

ولكن الشيء الذي يجب أن نشير إليه هو أن بعض الشعراء الجزائريين من منهم لا يفرق بين العروبة والإسلام، أمثال "سحنون"[2] و "محمد العيد" و "العقون"[3] وغيرهم من شعراء الجيل الماضي، بينما نجد الجيل الجديد يفرق ويميز بين القومية العربية كحضارة ومبدأ هدفه الوحدة والتئام الشمل من جميع الشعوب واتخاذ الدين كعقيدة روحية ."**وبتعبير آخر نقول أن الجيل الجديد يفصل بين الوحدة التي طريقها القومية وبين الإسلام كحضارة ومعتقد ... ومع هذا فكلا الجيلين يؤمنان بالوحدة العربية بقطع النظر عن الطريق إليها.**" [4]

1- عبد الله، الركيبي : قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر ،المؤسسة الوطنية ، للكتاب،عام 1983، ص36.

2- شاعر جزائري. ولد عام 1907 ميلادية ببلدة ليشانة قرب مدينة بسكرة،

3- شاعر جزائري. من مواليد 1918/3/18 ببرج الغدير بمنطقة برج بوعرريج.

4- عبد الله، الركيبي : المرجع نفسه، ص37.

يعتبر الشعراء الجزائريون من الذين ردوا وبقوة على دعاة التفرقة وعلى الذين يقصدون تقسيم الجزائر وفصلها عن بقية الأمة العربية ومن لا يحمل في قلبه حسا قوميا عربيا .

والمسلم به أن الشاعر الجزائري كان يتملكه شوق وحنين قوي اتجاه الشرق الذي يعد عنده العروبة ومنه فقد وجه الشباب إلى هذا حتى يعرفوا الأصل الذي إليه ينتمون، ومن أكثر شعراء

الجيل القديم عناية بالمشرق واحتفالا به وبأحداثه نجد الشاعر "محمد العيد آل خليفة" والذي بدوره يحث الشباب على الاتجاه نحو الشرق والأخذ منه ما يعد من ثقافة وحضارة. ففي قصيدته (نبتغي العيش في الجزائر حرا). يخاطب الشاعر هنا الشباب الجزائر ملفتا نظره إلى أن نسبه مرتبط بالعروبة هناك :

" يا شباب اتجه إلى الشرق وأحفظ كل كنز له إليه انســـــــــــــــــــاب

إنما الشرق نسبة العرب الأحرار لم تنقطع لها أسبـــــــــــــــــــــــــــاب

إنما الشرق للعروبة كهف امن الظل بالأذى لا يصاب

إنما الشرق للعروبة ورد بارد الماء سائغ مستطـــــــــــاب

هو صفو وغيره للاشوب فرد الصفو لا ترد ما يشـــــــــاب ."[1]

فمحمد العيد آل خليفة في هذه القصيدة يخشى على الشباب الجزائري من الانحراف الى اتجاه غامض يفصله عن ماضيه وتاريخه القومي .

1- عبد الله، الركيبي : المرجع نفسه، ص39.

فلسطين في شعر محمد العيد آل خليفة :

لقد حظيت القضية الفلسطينية باهتمام كبير و متزايد من طرف أدباء و جمعية العلماء و شعرائها خاصة إثر النكبة بعد الحرب العالمية الثانية و ذلك سنة 1948م، فقد كتب الإبراهيمي عنها مقالات تميزت بالعمق التاريخي و التحليل الواقعي و الاستشراف المستقبلي، لما لها و مال العرب بصدقة الواقع المعاش.

أما بالنسبة للشعراء فقد كانت فلسطين الشوكة التي ظلت و مازالت آلامها لم تداوى في مقدمة القضايا العربية التي تأثروا و انفعلوا بها، و عبروا عنها في شعرهم " **و لسنا في حاجة إلى أن نعدد الروابط التي تربط بين فلسطين و الجزائر.....كما أننا لا نحتاج إلى أن نضرب أمثلة للمقارنة بين حالة الجزائر و حالة فلسطين.**" (1)

وتعد قضية فلسطين من المحن الأولى التي كشفت تآمر الغرب الصليبي مع الصهيونية العالمية لجعل هذا الكيان المصطلح شوكة ف قلب الأمة العربية.

أما الشاعر محمد العيد آل خليفة بالنسبة له فإن قضية فلسطين في مراحلها المختلفة هي: " **قضية الشعب الجزائري بكل ما يعانيه من كبت و عزلة، و كانت الحروب التي تدور في فلسطين تحفز الجزائريين و تدفعهم إلى التطوع و التبرع و حمل السلاح كما تدفع بالشعراء إلى تبني هذه المعارك.**" (2)

و من المواضيع التي استطاع الشاعر محمد العيد أن يبرزها هو التواطئ الدنيء بين الاستعمار البريطاني و الصهيونية على ارض فلسطين .

1- عبد الله، الركيبي: المرجع نفسه، ص 41.

2- سعد الله ،أبو القاسم : محمد العيد آل خليفة رائد الشعر الجزائري في العصر الحديث،ط2، دار المعارف بمصر، 1968 ص 191،192.

و منذ أن بدأت الثورة الفلسطينية سنة 1936م التي يحادث تقضي على بني صهيون و على النفوذ البريطاني، و هذا ماجعل بريطانيا تتكل بأحرار فلسطين شر تنكيل " **أحس محمد العيد آل خليفة بالخطر على هذا الجزء من الوطن العربي، و أدرك أن يد بريطانيا و راء كل مؤامرة.**" [1] فهذه القضية قد أثرت كثيرا على نفسية الشاعر وهذا ما جعله يكتب قصيدة يهاجم فيها الاستعمار البريطاني الغاشم كما نجد انه يتحصر بشدة على حال أولى القبلتين. وعنوان هذه القصيدة هو (بني التاميز) الذي قال فيها:

" بني التاميز قد جرتم كثيرا فهل لكم عن الجوراز دحار

أفي اسواقكم نصبا وغضبا تسوم القبلة الأولى التجـــــار

أخال (القبلة)انسجرت دماء كما للبحر باللجج أنسجـــــــــــــار" [2]

"**وعندما دعت لجنة ببل إلى التقسيم كحل وسط .**" [3] تألم الشاعر وأحس بالخطر على القدس وأكد حق العرب في قصيدة نشرت سنة 1937 م.

" يا قسمة القدس أنت خزي لم يعدل القاسمون فيـــــــــك

مضوا على الحيف لم يبالوا بما جرى من دم سفيـــــــك

القدس للعرب من زمان لن يقبلوا فيه من شريك." [4]

---

1)العيد محمد(آل خليفة): الديوان،ط1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، مطبعة البعث قسنطينة1967ص374.

2)عبد الله الركيبي: قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر ،المؤسسة الوطنية ، للكتاب،عام 1983 ص58.

3)إبراهيم إبراهيم لقان: ملامح المقاومة ضد الاستعمار في شعر محمد العيد آل خليفة، دراسة فنية، رسالة ماجستير، جامعة منتوري قسنطينة، لم تنشر،2007 ص69.

4)العيد محمد : المرجع نفسه ص138.

وفي قصيدة (بلادي) التي ألقاها سنة 1937م يعرج على حال الأمة مشرقا ومغربا ، وكيف صارت مشتتة وممزقة الأوصال، ويشير إلى بيت المقدس الحزين والى الجرائم التي يرتكبها آل صهيون :

" **وفي المقدس الباكي الحزين فضائح توالت وأذكار طغت ومأثم** " [1]

كما أن الشاعر لا يفرق بين بلاده وفلسطين، فرغم ما تعانيه الجزائر من استعمار فانه يرى أن إعانتنا لفلسطين أصبح واجبا مقدسا.

1- العيد محمد: المرجع نفسه، ص.138.

مولده ونشأته :

هو محمد العيد بن محمد علي بن خليفة ، من محاميد سوف المعروفين بالمناصير من أولاد سوف . ولد في مدينة عين البيضاء الجميلة التي تتربع بين التلال والسهول، وتكاد حقول القمح والشعير تحف بها من كل الجوانب المحيطة بها، فتلبسها الاخضرار والأزهار في فصل الربيع، وتمنحها البهجة والرخاء في فصل الصيف، بتاريخ 28 أوت 1904م الموافق لـــ 27 جمادى الأولى 1323ه. بعدها تلقى القران والدروس الابتدائية بمدرستها الحرة عن الشيخين محمد الكامل ابن عزوز واحمد ناجي، وانتقل مع أسرته إلى بسكرة سنة 1918م وواصل دراسته بها على يد المشايخ علي ابن إبراهيم العقبي الشريف، والمختار بن عمر العيلاوي، والجندي احمد مكي."**وفي سنة 1921م غادر الشاعر بسكرة إلى تونس قبلة البعثات الطلابية الجزائرية آنذاك حيث تتلمذ سنتين بجامعة الزيتونة، ثم رجع سنة 1923م إلى بسكرة وشارك في حركة الانبعاث الفكري بالتعليم والنشر في الصحف والمجلات(صدى الصحراء) للشيخ احمد العابد العقبي و(المنتقد) و(الشهاب) للشيخ عبد الحميد بن باديس و(الإصلاح) للشيخ الطيب العقبي.**" [1]

وفي سنة 1927م دعي إلى العاصمة للتعليم بمدرسة الشبيبة الإسلامية الحرة. حيث بقي مدرسا بها ومديرا مدة اثني عشر عاما، وفي هده الفترة أسهم في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وكان من أعضائها العاملين، وقد حياها بقصيدة مطلعها :

" **على الرحب حلوا أجمعين على الرحب فانتم ضيوف في حمى الله والشعب** " [2]

1- أبو القاسم، سعد الله : شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة،الدار العربية للكتاب ط3. 1989ص87.

2- العيد محمد(آل خليفة) : الديوان،ط1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، مطبعة البعث قسنطينة1967،ص247.

وفي سنة 1940م بعد نشوب الحرب العالمية الثانية، غادر العاصمة الجزائرية إلى بسكرة ومنها إلى باتنة للتدريس بالمدينة التي تجمع بين فخامة الشمال وبساطة الجنوب، وقد بقي هناك من سنة 1941م إلى 1947م، ثم انتقل إلى عين مليلة لإدارة مدرسة العرفان إلى سنة **1954م**، وبعد اندلاع الثورة الكبرى أغلقت المدرسة والقي القبض عليه وزج به في السجن، وامتحنته السلطة الاستعمارية بعد إطلاق سراحه بمحنة غاشمة وفرضت عليه الإقامة الجبرية ببسكرة، فلبث معزولا عن المجتمع تحت رقابة مشددة إلى أن أفرج الله عليه وعلى الشعب الجزائري بالاستقلال.

إذن فهو شاعر "**الشباب والجزائر الفتاة في العشرينيات، وشاعر الشمال الإفريقي والعروبة في الثلاثينيات وشاعر الحكم والمثل في ذروة النضج الشعري والمعاناة والمقاساة الوطنية الأربعينيات وما تلاهما.**" [1]

انه شاعر مستكمل الأدوات خصيب الذهن ، رحب الخيال، متسع جوانب الفكر، متين التركيب ، فحل الأسلوب مترقرق القوافي ، لبق في تصريف الألفاظ وتنزيلها في مواضعها، بصير بدقائق استعمالات البلغاء، فقيه، محقق في مفردات اللغة علما وعملا، محتدم للأوضاع الصحيحة في علوم اللغة كلها، لائق في شعره لا تجد تعقيدا في تركيبه، بارع الصنعة في الجناس والطباق وإرسال المثل والتصريح بالنكت الأدبية والقصص التاريخية .

" **من يعرف محمد العيد ويعرف إيمانه وتقواه وتدينه وتخلقه بالفضائل الإسلامية يعرف أن روح الصدق المتفشية من شعره إنما هي من آثار صدق الإيمان وصدق التخلق ويعلم انه من هذه الناحية أبدع الشعراء، لقد رافق شعره النهضة الجزائرية في جميع مراحلها، وله في كل ناحية من نواحيها، وفي كل طور من أطوارها وفي كل اثر من أثارها، القصائد الغر والمقاطع الخالدة – لو جمع – سجل صدق لهذه النهضة وعرض رائع لأطوارها.**" [2]

1- صالح، خرفي: الشعر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر1984، ص17.

2- العيد محمد(آل خليفة) : الديوان،ط1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، مطبعة البعث قسنطينة1967،ص14.

هو "**جماع لتلك الأوصاف في كل تلك المراحل، وهي ميزة محمد العيد في وفائه للمبادئ والتزامه بأخلاقيات عاش لها وعاشت له ورافقها ورافقته خمس وسبعين سنة.ولم تفارقه حتى فارق الحياة يوم الأربعاء السابع من شهر رمضان المعظم 1399ه الموافق ليوم 31 جويلية 1979م بمستشفى باتنة.نقل جثمانه إلى مدينة بسكرة حيث دفن بمقبرة (الغريلات) بعد يومين من وفاته.ترك وراءه خمسة أبناء ثلاثة ذكور وبنتان والمؤكد انه سيخلد ذكره في قلوب الأجيال**" [1].

مكانة الشاعر في الساحة الأدبية :

إن الدراسات الشرقية عن الأدب الجزائري قليلة جدا إذا ما قورنت بالاهتمام الجزائري بالأدب المشرقي، ومن يوشك أن هذه النظرة لها منطلقات تاريخية مصدرها اعتقاد المشارقة أن الجزائر ليست ارض عربية أصلا، وعملت فيها يد الصليبية الحاقدة ممثلة في الاستعمار الفرنسي على إزالة اثر الإسلام عنها . وقد نمت هذه النظرة من جهود المستشرقين في إحياء اللغة والآداب العربية التي اقتصرت على المشرق"**حتى للمستشرقين فاتهم هذا أيضا، فالمستشرق كارل بروكلمان في كتابه (الآداب العربية) لم يكن للمغرب في كتابه نصيب.**" [2]

بينما تختلف نظرة كتاب الجزائر عن ذلك، فهم يعتقدون كل الاعتقاد أنه امتدادا مشرقيا وشائجه العروبة والإسلام، وكل ما هو مشرقي فهو محل اهتمام لأنه يعد من التراث ولكن في الحقيقة انه قلما التفت نقاد المشرق إلى الأدب المغربي، وبالأخص الأدب الجزائري وان فعلوا ذلك فباشارت سريعة "**فلم يلم المشرقيون الماما وافيا بالأدب المغربي عامة،والأدب الجزائري خاصة** ." [3]

1- ابن سمينة، محمد: شخصيات لها تاريخ ، محمد العيد آل خليفة، المؤسسة الوطنية للكتاب 1989.ص54.

2- فؤاد نعمات: خصائص الشعر الحديث، دار الفكر العربي، 1971، ص81.

3- سلمان (نور):الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير،ط1، مكتبة لبنان ناشرون،2004، ص325.

لاسيما في الجزائر هناك مكتبات اقل ما يقال عنها إنها مليئة بالدراسات عن المشارقة، " **لقد حفلت المكتبة العربية كما يقول الأستاذ حنا فاخوري بالكتب تلدها المطابع في خصب عجيب، وفي زحمة هذه الثروة الأدبية ليت المغرب العربي مطوي الصفحات مجهول الآثار، وكأنه بعيد كل البعد عن الحركة الفكرية والفنية، وكأنه لا وجود له في التيار العربي الزاخر.**" [1].

ولمحمد العيد آل خليفة قضايا كثيرة تم تناولها في ديوانه ومن ذلك الإسلاميات والقوميات بحيث أنها تحتل جزءا هاما وكبيرا في ديوان الشاعر، إن الذي يمعن النظر فيه ليعرف أهم قضية تشغل بال محمد العيد وتدور حولها مضامين شعره يمكن ردها إلى أربعة لا يكاد الشاعر يغادرها إلا ليعمقها، وهي:"**الوطن، العروبة، الإسلام والإنسانية.**" [2]

ومن القضايا العربية الإسلامية ، القصائد الآتية (هيهات يخزى المسلمون، في أذن الشرق يا امة الخير، ويخلد الإسلام، سلوا التاريخ، تهنئة الأزهر، تحية الرئيس الراحل عبد الناصر والعروبة امتنا الكبرى).

كذلك يعتبر محمد العيد من الذين أعطوا قيمة للقضايا السياسية فقد حفل شعره بالقصائد السياسية المحضة، والمقطوعات الوطنية الحارة،" **فقد تحدث عن المؤتمر الإسلامي، وخاطب لجنة البحر العليا، وعبر عن مأساة فلسطين أكثر من مرة، وعن مصر والعدوان الثلاثي، وعن استقلال ليبيا و السودان وعن مأساة الثامن ماي التي تعد من اكبر القضايا التي العالم والذي شهد بدوره هذه المجزرة التي وقعت في حق الشعب الجزائري.**" [3]

1- فؤاد نعمات: خصائص الشعر الحديث، دار الفكر العربي، 1971، ص81 .

2- ابن سمينة، محمد: محمد العيد آل خليفة (سلسلة: شخصيات لها تاريخ)،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1989 ص58 .

3- إبراهيم لقان: ملامح المقاومة ضد الاستعمار في شعر محمد العيد آل خليفة، دراسة فنية، رسالة ماجستير، جامعة منتوري قسنطينة، لم تنشر،2007، ص50.

قضايا عربية في شعر محمد العيد:

رغم أن الاستعمار عمل بكل الطرق على عزل الجزائر عن محيطها العربي والإسلامي، وتحولها إلى سجن تحيط به الأسوار العالية "**فقد كانت هناك نافذة صغيرة تتطلع منها الجزائر إلى الخارج، لقد كان تطلعا نحو جهة واحدة ، معينة هي جهة الشرق، وكان تعبيرا عن إحساس وجداني واخوي تثيره الروابط والمصائر المشتركة.**" [1]

هذا التطلع نحو المشرق يعتبر مهبط الوحي ومهد الحضارة التي وحدت وجمعت شمل العرب وغيرهم يوما قبل أن يفرقهم الاستعمار، وبقيت هذه المشاعر يثيرها الأدب جيلا بعد جيل، ولم تستطع الحدود الجغرافية التي وضعها الاستعماران تحول بين النفوس، ولهذا لم يتخلف الشعراء عن مسايرة الأحداث التي تقع في غير أوطانهم، وبالفعل فقد كان هذا الشعر رصدا للأوضاع السياسية والاجتماعية التي تمر بها الأمة العربية،"**وكان الشعر وسيلة قوية وأداة فعالة في توجيه الجماهير لأنه عبر بصدق ومعاناة عن الهم العربي الذي يحمله شعراؤنا.**" [2]

ويكفي أن نشير إلى بعض القضايا العربية التي تأثر بها محمد العيد ودافع عنها وكتب في قصائده شعرا كان له صدى واسع، وأول من تناول في قصائده من القضايا هي فلسطين التي أصبحت اختبار عروبة العرب، وجرحا لا يندمل في قلوبهم.

وأما القضية الثانية هي الوحدة العربية التي صارت حلم كل عربي مخلص غيور على وطنه وعلى الإسلام .

1- سعد، الله أبو القاسم: دراسات في الأدب الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر1985،ص107.

2- السد، نور الدين: القضية الجزائرية عند بعض الشعراء العرب، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1986،ص13.

أثاره:

إن من أهم آثار الشاعر العلمية شعره، واهم ما وصلنا منه هو ديوانه،وقد جمعه لأول مرة تلميذه احمد بوعدو، ثم سلمه إلى الشاعر في عين مليلة سنة 1952م وهذا سلمه بدوره إلى الشيخ البشير الإبراهيمي نزولا عند رغبته بهدف طبعه، إلا أن الديوان ظل مخطوطا حتى استقلت البلاد، وقامت وزارة التربية والتعليم وعلى رأسها الدكتور احمد طالب الإبراهيمي بنشره في طبعة أنيقة جيدة، وذلك بإشراف لجنة من الأساتذة المحققين وهم : "**الشيخ حمزة بكرشة، الشاعر جلول البدوي، الدكتور صالح خرفي والأستاذ محمد الطاهر فضلاء، وكان هذا الأخير يقوم إلى جانب مساهمته في التحقيق،بمهمة التنسيق بين هذه اللجنة وبين الشاعر.**" [1]

ومما لاشك فيه، أن هؤلاء المحققين قد بذلوا جهودا معتبرة لإخراج هذا المشروع على الصورة التي ظهر عليها، وهي لا تخلو على كل حال من بعض الايجابيات، بيد أن الذي يمعن النظر في الخطة التي اعتمدها أولائك المحققون في عملهم يلاحظ أنهم قد حاولوا أن يأخذوا بالطريقة الموضوعية المحورية، إلا أنهم لم يستطيعوا الوفاء بها من جانبيها البارزين:

"**لا من جانب الموضوع، ولا من جانب المنطق، وجاءت المحاور دون منطق تتسلل على ضوئه المعاني، ودون موضوع تتوحد في عقده الجزئيات، مما كان له اثر في بلبلة ذهن المتلقي، وتفويت فرصة الفهم الجيد عليه.**" [2]

1- ابن سمينة، محمد: شخصيات لها تاريخ ، محمد العيد آل خليفة، المؤسسة الوطنية للكتاب 1989، ص55.

2- ابن سمينة، محمد: م ن، ص56.

إن الذي يتصفح ديوان الشاعر ويمنعن النظر في محتواه بحثا عن القضية الأساسية التي تشغل بال صاحبه، سيدرك بوضوح أن العالم الذي يشغل اهتمام الشاعر، ويملك عليه عقله ووجدانه، إنما هو حال تدور مضامينه وتتركز انشغالاته حول محاور أساسية ، يمكن ردها إلى أربعة ، لا يكاد الشاعر أن يغادرها إلا ليعمقها وهي" **الوطن، الإسلام، العروبة، والإنسانية وهذه هي الكليات الأربع الكبرى التي تغلب على نتاج الشاعر وتطبع معظمه بسماتها وشيناتها** " [1]

ويمكن أن نلمح إلى جانب هذه المضامين الأساسية في نتاجه لبعض الأغراض التقليدية المعروفة في الشعر العربي القديم، من وصف وحكمة واخوانيات ومراثي وما إلى ذلك، لكن الذي يجب أن نشير إليه هو أن محتوى هذا النتاج بوجه عام، لا يكاد يخلوا مما يصور عواطف الشاعر الشخصية وأحاسيسه الذاتية بمفهومها الضيق المحدود، فهل لذلك سبب؟

إن الشاعر كان كمعظم إخوانه الجزائريين يعيش حياة، لم يكن يحياها ملكا لنفسه، وإنما كان يحياها جنديا إلى جانب أمته في صراعها مع المعتدين الغاضبين، فأنشأه ذلك الاستغراق في الأحداث الوطنية والقضايا المصيرية ذاته، وشغله عن سماع صوت وجدانه الخاصة يؤكد الشاعر ذلك فيقول: " **إن المجتمع في تلك الفترة فرض علينا أن نطرق مواضيع معينة، ولذا جاءت أشعارنا توجيهية تربوية اجتماعية.**" [2]

وهكذا كانت هذه الكليات (الوطن، الإسلام، العروبة والإنسانية)، محاور أربعة يدور حولها معظم شعر محمد العيد، وتتواجد هذه الكليات في شعره الواحدة إلى جانب الأخرى، متداخلة متكاملة، يرفد بعضها بعضا، وتصب جميعها في مجرى واحد، وترمي إلى أهداف واحدة يأتي في مقدمتها : الرغبة في معالجة الواقع والنهوض به.

1- ابن سمينة، محمد :المرجع السابق، ص58.

2- ابن سمينة، محمد : م ن ، ص59.

الدفاع عن اللغة العربية :

إن وحدة اللغة لأية امة من الأمم دليل على القومية اللغوية ووحدتها الروحية والفكرية، فإذا صان الشعب لغته من الاضمحلال فهذا يعني حريته اللغوية وحريته في الوجـود، وأمـا إذا لـم يصنها ويحفظها وقام بإهمالها وإتباع لغة أخرى أو فرضع عليه صار هذا الشعب بمثابة العبيـد، وهذا ما فعله الاستعمار منذ احتلاله للجزائر، فاستهدف اللغة العربية لأنه كان على يقـين بـان زوال اللغة العربية هو زوال لقومية الشعب الجزائري ومحو تاريخه وتفريق لوحدته، فيصبح هذا الشعب بمرور الزمن لا يعرف أصله ويصبح وجود الاستعمار أمرا عاديا.

ولأن رحمة الله واسعة بث روح المقاومة في نفوس رجال بذلوا كل ما في وسعهم، وضحوا بروحهم وهم يقاومون الاستعمار، فاتخذوا من اللغة العربية سلاحا لهم هذا للحفاظ على القوميـة العربية من الضياع، ومن أمثال هؤلاء الرجال نجد الشاعر محمد العيد آل خليفة الـذي حـرس على كل من اللغة العربية والثقافة الإسلامية من الضياع، كان من أكثر الشعراء الجزائريين في عصره الذين قاوموا سياسة الاستعمار الهادفة لمحو القومية الجزائرية، ومحو اللغة العربية، لقـد دافع عن اللغة العربية في الكثير من قصائده وهذا للحفاظ على القومية الواحدة فقال فـي إحـدى قصائده:

"تحـن إلـى نيـل الحقـوق نفوسـنا وتـأبى علينـا نيلهـا قـوة الغشـم

ونقصى عن الفصحى ونلهى بغيرها وليس سوى الفصحى لسان لفارسي

ومـا نحـن إلا مـن سـلالة يعـرب فمـن رام عنهـا فصـلنا بـاء بالرغـم." (1)

ففي هذه المقطوعة نرى أن محمد العيد يقول بصريح العبارة للمستعمر أن الجزائـر مـن سلالة عربية عريقة ، وان محاولته لاقتلاع اللغة العربية ضرب من الخيال.

1- العيد محمد(آل خليفة) : الديوان،ط1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، مطبعة البعث قسنطينة1967،ص205.

فاللغة هي قوام القومية ورمز العروبة وعنوان وجود العرب، وتمسكهم بها يعني تمسكهم بتاريخهم وشخصيتهم العربية الإسلامية، فحين تم عرض الفيلم المصري (أنشودة الفؤاد) بالجزائر سنة 1934م قام محمد العيد مخاطبا الفيلم، فانشد :

" ووعى الناس السنا منك شتى في مغاز علوية ذات بال

وتجلت فصحى اللغات كشمس فخبا كل كوكب مثلا لي

زانك الضاد من لسان بديع أيها الفيلم البديع الجمال

ويدا الشرق فيك للغرب مرعى للحضارات، مخصبا للرجال" (1)

فهذا الفيلم أعجب به محمد العيد كثيرا وذلك لأنه نطق باللغة العربية وبلسان عربي وان المشرق العربي أيضا اخذ من هذه الحضارة العربية، وهنا تهتز المشاعر القومية وينفض الاعتزاز بالعربية.

وقد كانت معركة الشرق ضد الغرب منذ الحرب العالمية الأولى حتى بزوغ الاستقلال في دفاعهم عن لغتهم العربية عند كتاب وشعراء العربية الذين تفجرت قرائحهم بالقصائد الحماسية الممجدة للقومية بمختلف عناصرها.

كما يوجه محمد العيد دعوة إلى الشباب من اجل أن يتوجهوا نحو العلم والمعرفة حتى يكون له مكان في الأرض فبالعلم تصحو نفسه وينطلق عقله حيث قال:

"يا شباب القلى اعتصم بالتآخي زانك الله في القلى من شباب

انشر السنة الكريمة واعمل بهداها وخذ بحذا الكتاب

إن تكن ببيت في الناس مجدا فاحرس المجد من دواعي الحزاب

ثم لا تبتئس إذا قيل لنا طموحاتنا طوائح الاضطراب " (2)

فمن يقرا من شعر محمد العيد متصفحا دواوينه يجده يمتاز بروح وطنية دينية أقامها الإسلام ، فنلمس روح الدين الإسلامي الحنيف نعيم الآخرة،مغفرة الله، وحث الأمة على الجهاد وكسر شوكة الاستعمار،هذه هي الخصال التي يتميز بها.

1- العيد محمد(آل خليفة) : م ن، ص25.

2- العيد محمد(آل خليفة) : م ن، ص88.

مكانة محمد العيد بين معاصريه (قبل الاستقلال):

لقد كان له الفضل الكبير في الحفاظ على مقومات الشعب الجزائري، وقد حمل قسطه كباقي أصدقائه المناضلين من المسؤولية وقد تعرض لكل ما تعرض كل من حمل على أعبائه هم القضية الجزائرية وشعبها من مضايقات السجن والإقامة الجبرية.

وإذا بحثنا عن سر المنزلة التي تبوأها محمد العيد آل خليفة خلال الحركة الوطنية، فان سعد الله يرى انه " **لابد أن نذكر هنا شخصين كبيرين كانا لهما الفضل الواضح في الصعود إلى الذروة التي يقف عليها وهما الشيخان عبد الحميد بن باديس والطيب العقبي، الأول كرائد عظيم والثاني كصديق حميم، وكلاهما أديبان وشاعران، وكلاهما حظيا من العيد بالشعر الجيد والذكر الجميل.**" [1]

أما عن شهادة الإبراهيمي عن محمد العيد فقال أنه قد عاش قبل عصره، ثم تجاوزه إلى المستقبل، وقال أن شعره بمثابة همزة وصل بين الماضي والمستقبل، جمع خصائص المتقدمين والمتأخرين ويلفت الإبراهيمي بعض من كانوا حاضرين معه قائلا:"**إني أجاهركم بأنكم جهلتم قدر شاعركم، ووطأكم على هذا الجهل الجزائريون جميعا، ولو كان محمد العيد في امة غير الأمة الجزائرية، لكان له شان يستأثر بهوى النفس، وذكر يسير مسير الشمس.**" [2]

أما عن قائد النهضة الفكرية في الجنوب الطيب العقبي فشهادته مثل سابقاتها، حيث قال:"**إني لم اقبل رأس مخلوق في حياتي، غير أنني هذا الأسبوع قبلت رأس شاب أجاد فن الخطابة هو الخطيب الورتيلاني، واليوم اقبل رأس شاب آخر نبغ في فن الشعر حتى وصل الغاية منه وهو الأستاذ محمد العيد.**" [3]

1- سعد الله، أبو القاسم: محمد العيد، رائد الشعر الجزائري في العصر الحديث، ط2،دار المعارف بمصر 1968،ص127.
2- الإبراهيمي، احمد طالب: آثار الإبراهيمي،ط1،ج2،دار الغرب الاسلامي، بيروت،لبنان،1997،ص360.
3- سعد الله، أبو القاسم: المرجع نفسه،ص41.

مكانة محمد العيد بعد الاستقلال:

قلنا بان الشهادات السابقة قد بينت لنا صورة مميزة وواضحة عن منزلة محمد العيد بين معاصري، ويرى عبد الله الركيبي منزلة محمد العيد بعد الاستقلال وفي عهد الحرية والعزة التي يناضل من اجلها بكل ما أوتي من قوة " **محمد العيد كان صوتا فريدا متميزا في التعبير عن الحركة الإصلاحية وأهدافها وسياستها وتوجهها، واستطاع أن يطبع القصيدة العربية في هذا الاتجاه بطابع خاص ... ووضوح في الرؤيا، وثبات في المواقف.**" (1)

أي أن محمد العيد كان له دورا بارزا في الحركة الإصلاحية من خلال علو صوته وأفكاره التي صاغها في قصائده.

بعض العيديات المجهولة :

داعي النهوض

" بالله قووا وطنا غدا من فعلكم في أتعس الحالات والكربات

بالله قووا وطنا تداعى سقفه لولا رجال أحسنوا الجولات

قاموا بحزم وارتدوا حلل العلا واستعملوا الإلحاح في الطلبات

هاموا بحب الوطن فانهالوا به ساعين بالآمال للغايات

رامـــوا بكـــل حفـــاوة هـــام الســـهى للـــوطن حتـــى مهـــدوا العقبـــــــــــــــات

احيـــوا رســـوما للجزائـــر قـــد عفـــت أحنـــى عليهـــا هـــادم اللـــــــــــــــــــــــــــــــذات

نشـــروا الجرائـــد بـــالبلاد وناضـــلوا أهـــل الفســـاد واخلصـــوا النيـــــــــــــــات

قـــوم لهـــم ذكـــر جميـــل عـــاطر ولســـان صـــدق فصـــام العـــــــــــــــــثرات

وثبـــات جـــاش واتقـــاد فطانـــة ورســـوخ أقـــدام مـــن الـــــــــــــــــــــــــــــــزلات

أعطاهم الرب الكريم كرامة وحبا هم الدرجات في الجـــــــــنات

وأنا لهم بين الأنام منصة تسمو على الجوزاء في الدرجات" [2]

1- يحياوي، محمد الطاهر: أحاديث في النقد والأدب،شركة الشهاب، الجزائر،1990ص6.

2- محمد، ابن سمينة: العيديات المجهولة، تكملة ديوان محمد العيد آل خليفة،المؤسسة الوطنيـــة للفنـــون المطبعيـــة،الجزائر 2003، ص26.

الوحدة الجزائرية

"تعالوا نحييها ذكرى وندرسها بإيضـــــــــــــــــاح

تأمـــــــل أيهـــــا البـــــاني ودعمهـــــا باركـــــــــــــــــــــان

وجـــــــــددها بإتقـــــــان تتممهـــــــا بإنجـــــــــــــــــــاح

فما الموضوع جزئي بل الموضوع كلـــــــــــــي

بياني[1]وشعبي[2] وطرقي[3] وإصلاحـــــــــي[4]

أجيبـــــوا – يـــــا بنـــــي أمـــــي – نـــــداء القـــــادة الشـــــــــــــــــــــــم

فان الشعب في غم من التفريق مجتـــــــــــــــــــــــاح

إلى وحدتكم عودوا فداعي العود محمـــــــــــــــــــود

وان لـــــم يثمـــــر العـــــود فـــــلا بشـــــرى لفـــــــــــــــــــــــــلاح

اغـــــدوا والســـــير فالحـــــادي بركـــــب الوحـــــدة البـــــــــــــــــــادي

منـــــار[5] نـــــوره هـــــادي مبيـــــد الـــــدجى مـــــــــــــــــــــــــاح

ومهمـــــا بيـــــد طغيـــــان ومكـــــر فيـــــه ألـــــــــــــــــــــــــوان

فان الشعب يقضان ومن سكر الهوى صـــــــــاح

تكتـــــل أيهـــــا الشـــــعب فـــــإدراك المنـــــى صعـــــــــــــــــــب

ولا يحلـــــل بـــــك الرعـــــب لـــــو هـــــم فيـــــك طـــــــــــــــــــــــــواح

ســـــنحميك ونكفيـــــك حروبـــــا أنشـــــبت فيـــــــــــــــــــــــك

نبـــــاري كـــــل ســـــباق ولا نرضـــــى بإرهـــــــــــــــــــــــاق

كفـــــى بـــــالله مـــــن واق لنـــــا بالنصـــــر فتـــــــــــــــــــــــاح" [6]

1- نسبة إلى حزب البيان الجزائري.

2- نسبة إلى حزب الشعب الجزائري.

3- نسبة إلى الطرقية، أي الطرق الصوفية.

4- نسبة إلى الحركة الإصلاحية التي تمثلها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

5- نسبة إلى جريدة المنار .

6- محمد بن سمينة، العيديات المجهولة، تكملة ديوان محمد العيد آل خليفة .

من رواد الشعر القومي في الجزائر

1- عمر بن قدور
2- سعد الدين الخمار
3- الامين العمودي
4- احمد سحنون
5- عبد الكريم العقون
6- الربيع بوشامة
7- الاخضر السائحي
8- عيسى النوري

بعض النماذج من اشعارهم حول القومية

يقول احمد سحنون:

حارس الشرق غاب

"حارس الشرق غاب في نضم العـــــــــــدم
وقضى ليث الشباب وهو بدر
تـــم
وتردى عقاب من ســــــــمـــــــــاء العظم
وثوى في التراب طوى مجد اشـــــــــــــــــــــــــــــــم
يا له من مصاب جلَ هو لآ وعـــــــــــــــــــــم
أمة العرب كم ذاد عنـــــــــــــــــــها العـــدى

وكفاهم النقم
وحمـــــــــــــــــــــــــــــــاها الردى" [1]

1- صالح، خرفي: الشعر الجزائري الحديث،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1984،ص52

يقول احمد سحنون:

إن الجزائر تشكو

يا امة جمعتها عقيدة الإيمـــــــــــــــــــــــــــــان
وإخوة قد تلاقوا على هوى الأوطـــــــــــــان
وأنفسا ظامئات للعلم والعـــرفان
تحية من فؤاد في حبكـــــــــــــــم متفاني
إن الجزائر تشكو لكم بدون لســـــــــــــــــــــــــــان
تشكو لكم ما تلاقي من ذلة وهـــــــــــــــــــــــــــــوان
تشكو اغتصاب حقوق تشكو ضياع أمان[1]

احمد سحنون المغرب العربي

للمغرب العربي صولة ضار ووثوب مقدام على الأخطـــار
بالحب سوف يعيد سالف مجده وبالاتحاد يفوز
بالأوطـــــــــــــــــــــــار
كذب الذين نعوه بل هو لم يزل غاب الأسود وموطن الثـــــــــــــوار
يا ويح الاستعمار كيف تقوضت آماله كالهيكل
المنـــهار؟

يا ويح أعداء العروبة، من لهم من فاتك الأنياب والأظـــــــــــــــــفار؟
قد هب كالتيار، حطم سداه من ذا يعارض غضبة التيـــار
ابن العروبة لم يعد يرض سوى عزة الحياة ورفـــــعة المقـــدار
قل لابن الاستعمار: خل بلاده العرب لا يرضون باستـــــــــــــــــعمار.(2)

1- صالح، خرفي: م ن، ص50
2- صالح، خرفي:م ن، ص70

احمد سحنون

يا شباب النيل

مصر، ذا نهجك فامضي لا تحيدي لتعيدي عهد ماضيك المجيد
لا تهابي الموت، ما الموت سوى سلم المجد ومفتاح الخـــــــــــــــــــلود
حـــبذا ورد المنايا، انـــــــه ينقذ الأحرار من عيش العبـــــــــيد
لا تضيعي الوقت في القول سدى ليس بالأقوال تحطيم القيـــــــــــــــــود
أتلاقين بالسيف من هبـــــــــــا من يـــــلاقيك بسيف من حــــــــــــــــــــديد
منطق القوة أجدي، فاجـــــعلي قوة العدة منه، والعـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــديد

اطردي الضيف الذي لم يرض من صاحب البيت سوى حز الوريد[1]

1- صالح، خرفي: م ن، ص71

أ- **المعجم الشعري:**

إن دراسة المعجم الشعري لدى محمد العيد، يقودنا إلى دراسة خصائص الألفاظ الأساسية التي اعتمدها الشاعر للتعبير عن الفكرة الإصلاحية والقومية، فالشاعر الأصيل " **ما كانت ألفاظه تنضج بالقيم فتتقطر من ألفاظه موسيقى، والمعنى والذاكرة والبساطة والزخرفة والصورة والفكرة والقوة الدرامية... والعبارة الصريحة والكناية واللون والضوء والقوة** " [1]. ونظرا لأهمية هذا العنصر سنحاول تفحص بعض قصائده واستنطاق ألفاظه لمعرفة بمن تأثر الشاعر وكيف اثر ذلك على لغة شعره.

ميزة الألفاظ لدى محمد العيد:

لقد سلك محمد العيد دروب أسلافه الذين تأثر بهم، كما لم يتنكر لمعايير عصره ومقتضياته، ولسنا موافقين على القول"**أن محمد العيد ضاع بين الجديد والقديم،فلا القديم المحض يرتضيه له طموحه،ولا الجديد المحض يرتضيه له جمهوره وقيوده**" [2]. إن محمد العيد تأثر بأسلافه من الشعراء وتأثر بمعاصريه كالزاهري وغيره، ومزج بين القديم والجديد من حيث الشكل والمضمون.

إن الألفاظ المستعملة في شعر محمد العيد سهلة "**انك تقرا شعره فلا تحتاج إلى قاموس ينجدك في تفسير الغامض من الألفاظ... فهو شعر قريب من النفس لبعده عن التكلف من ناحية الأسلوب والمعنى.**"[3]، ولعل سهولة الألفاظ التي أرادها محمد العيد كانت متعلقة بالرسالة التي يحملها- قومية المجتمع – فهو شاعر يكره الغموض والتعقيد.

1- إليزابيث: الشعر كما نفهمه ونتذوقه،ترجمة محمد إبراهيم **الشوس**، مكتبة ميمنة ببيروت،1961،ص61.

2- أبو القاسم، سعد الله: شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة، الدار العربية للكتاب،ط3، 1989،ص234.

3- أبو القاسم، سعد الله: المرجع نفسه، ص213.

قال محمد العيد في قصيدة بعنوان (اسطر الكون):

"أرى الكون قرانا من الله منزلا على الروح والأحداث أي عظات

واقرأ من أي الشقاوة اسطرا على صفحات الكون مرتسمـــــات" [1]

ويقول في قصيدة أخرى بعنوان (العروبة أمنا الكبرى):

الملكة السمحاء إمراة لنا فوق الأوامر والعروبة مولد

هيهات تقدر أن تفرقنا يد والله يجمع شملنا ومحمـــــــــــــد

إن العروبة أمنا الكبرى التي في الأمهات نظيرها لا يوجـــــــد.

[2]"

جميع الألفاظ سهلة، لا تحتاج إلى إتعاب الذهن والى منجد والمعجم الشعري لموضوع القومية يستمد هاته اللغوية من الشعر العربي والقران الكريم والحديث النبوي الشريف وإقباله على التراث يعود إلى عدة أسباب من بينها

1-اطلاعه الواسع على الشعر العربي القديم، الجاهلي، الإسلامي، الأموي، الصوفي...، وهذا شان العلماء في تلك الفترة

2-تأثره بالمشارقة ، حافظ إبراهيم، احمد شوقي والعقاد...

ومن بين الخصائص التي يتميز بها معجم محمد العيد (التكرار)، وللتكرار دلالات نفسية وفنية، حيث يدل المكرر على اهتمام الشاعر، سواء سلبيا أو ايجابيا، وأهداف الشاعر من التكرار: توكيد المعاني وإعطائها صفة الحمية والوجوب والتكرار يستطيع إن يغني المعنى، ويرفعه إلى مرتبة الأصالة، ذلك إذا استطاع الشاعر أن يسيطر سيطرة كاملة، ويستخدمه في موضعه.

والشاعر قد يكرر كلمة بعينها في بيت واحد مثل قول محمد العيد:

" انا ابن جدي وقومي السادة العرب وحرفتي ما حييت الشعر والادب

ولا غذاء به احيا بغير طوى منعم البال الا الشـــــــــــــــــعر والادب." [3]

1- العيد محمد(آل خليفة) : الديوان،ط1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، مطبعة البعث قسنطينة،1967،ص10.

2- العيد محمد(آل خليفة) : ن م، ص229.

3- نازك الملائكة:قضايا الشعر العربي المعاصر، دار العلم للملاسين ، بيروت1981،ط6 ص26.

ففي هذه القصيدة بكاملها قد كرر عبارة الشعر والأدب في آخر كل عجز منها، وقد يكرر أكثر من كلمة في أكثر من بيت مثل قوله:

" ما عسى يدفع الأسى طارقا بالأذى طرق

ما عسى ينفع الأسى امة شملها افترق."[1]

واضح أن (ما عسى) تكررت مرتين و(والأسى) كذلك، والأفعال أيضا لها وظيفتها الدلالية عند تكرارها وذلك في قوله عن الابراهيمي:

" كان للعلم في الجزائر روضا مستطابا يحي النفوس شميما

كان بحرا من المعارف زخا راوذخرا من الفنون جسمـــــــــــــا

كان لا (الأصمعي) وابن دريد والكسائي في الليالي نديمـــــــــا

كان في العلم رائدا وإماما ورئيسا وقائدا وزعيمـــــــــــــــــــــــــا؟. " [2]

فالشاعر كرر الفعل الماضي الناقص (كان)ليثبت إن البشير الإبراهيمي – فيما مضى – كان رجل علم وسياسة ودين.

ولم يقتصر التكرار على الأسماء والأفعال والألفاظ، بل كان للحروف نصيبا من ذلك ولها كذلك دلالاتها، فيقول محمد العيد:

" إلى البذل فهو الملاذ المنيع إلى العلم فهو السبيل السويه

إلى الكشف عن تركات الجدود فكم بينها من كنوز خفـــــــــــــــــــــية

إلى بعث سلطاننا المشرقي وبعث فتوحاتنا المـــــــــــــــــــــــــــــــغربية." [3]

1- العيد محمد(آل خليفة) : الديوان،ط1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، مطبعة البعث قسنطينة،1967،ص383.

2- العيد محمد(آل خليفة) : المرجع نفسه،ص490.

3- العيد محمد(آل خليفة) : المرجع نفسه،ص418.

ويلاحظ من يتتبع شعر محمد العيد خاصية أخرى من خصائص معجمه الشعري، وهو استعماله الواسع لأدوات الاستفهام، للإفصاح عن حالته الشعورية، وقد وظفها شاعرنا لتؤدي معاني عديدة ومختلفة، وهذا ما سنحاول اكتشاف، فيقول:

"**كيف كان يرضي الجمود كان حيا ليس يرضى الجمود غير الجماد.**" (1)

ويقول أيضا في نفس القصيدة :

" كيف أنسى قومي وموطن قومي كيف انسى عروبتي أو ضادي "

ويقول أيضا:

" **أين ما سامنا من عذاب أين منا ماساءنا من شقاء.**" (2)

عندما نحاول تقصي نفسية الشاعر من وراء هذه الأبيات، نجده يتجرع كؤوسا من الحسرة والألم، فهو يتحسر على شعبه وما فعل به المستعمر، ويتحسر على الشعب الذي اخذ صفة الجمود من الجماد، دليل على الاستكانة والرضاء والذل والهوان ، فليس الغرض من الاستفهام انتظار الجواب، إنما النفي.

وقد أولى محمد العيد عناية فائقة للألفاظ، حيث اتجه إلى الطبيعة وحرص على اتقاء كلمات قادرة على التعبير عن ألامه وأفراحه، و يقول في وصف فوارة بديعة الشكل في حديقة عامة بمدينة باتنة:

" **في روضة غناء قد غنت ساحتها الطيور**

فا هو الطبيعة إنها أم تحوطك بالـــــــــــــبرور." (3)

وجاء في قصيدة تحت عنوان (الصحو) يصف فيها محمد العيد المناظر البهيجة التي أعقبت أياما شتوية كئيبة غابت فيها الشمس وتجهم فيها وجه الطبيعة وفي هذا الصدد يقول:

اصح قلبا فوجدك اليوم حمق ان وجه الطبيعة اليوم طلق
زانت الجونة السماء فزالت ظلمات بها رعد وبرق

1- العيد محمد(آل خليفة) : المرجع نفسه،ص430
2- العيد محمد(آل خليفة) : المرجع نفسه،ص437
3- العيد محمد(آل خليفة) : المرجع نفسه،ص52،53.

ب- الموسيقى الشعرية:

تعد الموسيقى دورا أساسيا ومركزيا في الشعر، وهي ذات وظيفة بنائية إيحائية لا يمكن الاستغناء عنها، بل وتعد معيارا يتميز بها الشعر عن باقي فنون القول " **لأننا عندما نمعن النظر في بنية القصيدة العربية نجد أن البناء الموسيقي يعد في مقدمة البنى التي تتكون منها القصيدة عند العرب، ويرى النقاد أن البناء الموسيقي يتقدم على البناء بالصورة ، فالبناء الموسيقي في القصيدة العربية لا يعد تعسفا، ولا تحجرا، بل هو الأقرب إلى خصائص الشعر العربي ويعد ظاهرة حضارية.**"[1] ولأهمية هذا العنصر أكد عليه النقاد واعتبروه عماد الشعر "**قول موزون مقفى يدل على المعنى.**" [2]

والموسيقى الشعرية خارجية وداخلية، فالأولى تخضع لمعيار الوزن والقافية، والثانية يحكمها الإيقاع الخاص لكل كلمة من الكلمات المستعملة، ثم الجرس المؤتلف الذي تصدره الكلمات في اجتماعها في البيت كله، ثم تتابع البيت في كل قصيدة، أو قسم من قصيدته.

ومن هنا سنحاول معرفة مدى توفيق الموسيقى الشعرية بنوعيها في التعبير عن الشعر القومي والإصلاحي ودورهما، وذلك من خلال اعتبارهما عنصرين فيما بينهما ليشكلان البنية الإيقاعية الكلية للأبيات .

"**كذلك الموسيقى في العمل الفني تعد من أهم العناصر التي يرتكز عليها، ذلك أن العلاقة بين الموسيقى والشعر علاقة ترجع إلى طبيعة الشعر نفسه، الذي نشا مرتبطا بالغناء ومن ثم فأنهما يصدران من نبع واحد وهو الشعور بالوزن والإيقاع.**" [3]

فالموسيقى إذن هي عنصر أساسي في القصيدة، بواسطتها يتمكن الشاعر من نقل تجربته الشعرية إلى المتلقي لان في الإنسان زوايا مطوية لا تستجيب إلا للإيقاع الموسيقي.

1- عبد الدايم، صابر: موسيقى الشعر العربي بين الثبات والتطور،ط3، مكتبة الخانجي،القاهرة، ص18.

2- ابن جعفر،قدامة: نقد الشعر ط3،تحقيق كمال مصطفى، مكتبة الخانجي،القاهرة، مصر1979،ص64.

3- إبراهيم لقان: ملامح المقاومة ضد الاستعمار في شعر محمد العيد آل خليفة، دراسة فنية، رسالة ماجستير، جامعة منتوري قسنطينة، لم تنشر،2007،ص165.

وإذا تم استقراء ديوان محمد العيد آل خليفة في مجال الدراسة العروضية، فان أول ما يلفت النظر هو محافظته الشديدة على القصيدة العمودية، والتزامه القوي بالأوزان التقليدية المعتمدة على القافي المطردة، مع العلم أن هذه ميزة معظم معاصريه من الشعراء وان كان لابد من تعليل لتلك الظاهرة، فان معظم نقاد الجزائر آنذاك يجمعون على أن أغلبية الشعراء انطووا " **تحت لواء حركة إصلاحية محافظة كانت ترى في الحفاظ على القصيدة العربية الإسلامية، ولعلها كانت تعتبر ذلك وجها من وجوه مقاومة الاستعمار الغربي الدخيل.**" (1)

وقد اخذ شاعرنا بهذا الاتجاه، حيث نلم عدة قصائد على هذا المنوال: دمعة على القمر الخاسف، آفة العين، مسرحية بلال.

وتأتي قصيدة محمد العيد التي عنوانها(من الشعر الرمزي):

"يا رياض الجنة والظـــــــــــــــلال في صعيد الخـلـــــــود

انعمي بألذ

الغـــلال وأغمض

الـــــــــــــورود

واسلمي من عوادي الشمال وعواتي

الرعـــــــــــــــــــــود." (2)

وهكذا نمضي كل قصيدة تستقل كل مقطوعة بقافية معينة، ومن الواضح أن محمد العيد لم يخرج عن القافية فقط، وإنما خرج عن الوزن الموحد في القصيدة أيضا، حيث جاءت المقطوعة الأولى في القصيدة على شكل مجزوء المتدارك.

فاعلن فاعلن فاعلن فاعلن فاعلن فاعلن

بينما جاءت المقطوعة التي تليها

فاعلن فاعل فاعلن فاعل

وعلى هذا التتابع حتى آخر القصيدة.

1- ناصر، محمد: الشعر الجزائري الحديث،اتجاهاته وخصائصه الفنية،(1925-1975)ط1،دار الغرب الاسلامي،1985 ص191.

2- العيد محمد(آل خليفة) : الديوان،ط1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، مطبعة البعث قسنطينة،1967،ص 320.

كما نلاحظ في مسرحية بلال بن رباح التي كتبها سنة 1936م والتي نهج فيها نهجا جديدا وزنا وقافية " **ولا نعلم شاعرا جزائريا آخر سبق محمد العيد إلى ذلك.** "[1]

إن الطريقة التي استعملها محمد العيد شبيهة بطريقة احمد شوقي في مسرحياته، حيث استخدم البحر والقافية بطريقة غير منتظمة.

" **فحين نستعرض البحور الشعرية التي تتابعت في الفصل الأول من المسرحية نجدها تتابع وتتنوع على النحو التالي**" [2]

المشهد الأول: وزنه من مجزوء الوافر

المشهد الثاني : من وزن المجتث

المشهد الثالث : الهزج ثم الوافر

المشهد الرابع : الهزج ثم الوافر

المشهد الخامس: الطويل

المشهد السادس: الطويل ثم الهجز

المشهد السابع: الطويل

المشهد الثامن : الهزج

هذا التنوع في البحور نتيجة المواقف النفسية لشخصيات المسرحية، فكل موقف يتطلب بحرا معينا، فمثلا إذا كان مجزوء الرجز لائقا للتفاخر وعزة النفس والإعجاب بها- موقف أمية بن خلف - فان المجتث لموسيقاه الحزينة لائق لموقف الهوان والألم - موقف بلال - وموسيقى بحر الطويل لائقة لموقف الإيمان والثبات.

كما أن محمد العيد في هذه المسرحية كان يتصرف في تجزئة التفعيلات وكسرها حسب الموقف والمعنى المراد، ومتطلبات الحوار، فإذن أبيات المشهد من البحر الطويل مثلا هو المتركب من تفعيلتي المتقارب والهزج هكذا:

1- ناصر، محمد: الشعر الجزائري الحديث،اتجاهاته وخصائصه الفنية،(1925-1975)ط1،دار الغرب الاسلامي،1985 ص27.

2- ناصر، محمد: م ن ،ص208.

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيل فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن

يقول محمد في هذه المسرحية :

آمنت بالله وحده فما كان غير الله ربا وخالق

وأسلمت سرا منذ عرفت محمدا وصرت مغاربا بالشهادة ناطقا

أمية :غويت فتبت يا عبد.

بلال : ما أنا تائب .

أمية : أتأبى وتأتي ؟

بلال: لن تراني موافقا.

إن البحر الذي نظم عليه الحوار هنا من البحر الطويل ،ولكن محمد العيد لم يخضع للنظام الخليلي ،فجزا التفعيل حسب متطلبات الحوار وأباح لنفسه زحافات وعلل ،جاءت المقطوعة على التالي :

أمية : فعولن ،مفا

بلال : عيلن ،فعولن ،مفاعيلن فعولن ، مفاعيلن، فعولن ، مفاعيلن

أمية: فعول، مفاعيلن ،ف

بلال: فعولن ،مفاعلن

أمية: فعولن ،مفاعي

بلال: لن ، فعولن ،مفاعلن

إن محمد العيد كان سابقا في الشعر الجزائري إلى التجديد و التطور،وهي ثقافة تحسب له.

البحور	الكامل	الخفيف	الرمل	البسيط	الطويل	المتقارب
النسبة%	22.66 %	13.88 %	13.23 %	14.44 %	15.86 %	3.39 %

الوافر	الرجز	المجتث	المتدارك	الهزج	السريع	المديد
% 13.03	% 3.39	% 4.81	% 0.84	% 1.19	% 1.41	% 0.56

1- إبراهيم لقان: ملامح المقاومة ضد الاستعمار في شعر محمد العيد آل خليفة، دراسة فنية، رسالة ماجستير، جامعة منتوري قسنطينة، لم تنشر،2007،ص174.

"الكامل:بلغ عدد القصائد المنسوجة في الديوان على منواله ثمانين (80)قصيدة بنسبة 22.66%

الخفيف : نسج على منواله تسعا وأربعين قصيدة(49) بنسبة 13.88% استعمل بشكلية التام و المجزوء

الرمل: نسج على منواله ثلاث عشر قصيدة (13) بنسبة 03.86% وهي ضئيلة بالنسبة للبحور السابقة

البسيط: نسج على منواله واحدا وخمسين قصيدة (51) بنسبة 14.44%استعمل الشاعر بحرا تاما ومجزوءا

الطويل: نسبة الاستعمال فقد استخدمه في ست وخمسين (56) قصيدة أي بنسبة15،56%

المتقارب: استعمله في اثني عشر قصيدة (12) بنسبة 03.39%بينما عند مفدي بلغت 30%

الوافر: استعمله الشاعر في ست وأربعين (46)قصيدة ،بنسبة 13.03% كتكملة لإنتاجه الشعري

الرجز استعمله تاما في سبع قصائد(7) ومجزوءا في خمس (8) بنسبة 03.39%

المجتث:استعمله في أكثر من17 قصيدة من مجموع إنتاجه الشعري نسبة 04.81%

المتدارك: استعمله في ثلاث (3) قصائد بنسبة 0.84%وقد ورد مجزوءا في قصيدتين و تاما في قصيدة واحدة

الهزج: استعمله في ست (6) قصائد (2) في الديوان ،(4) في تكملة الديوان ،أي بنسبة تساوي 1.19%

السريع: لا يتجاوز خمس (5) قصائد ،بنسبة 1.41%وهي نسبة ضئيلة جدا ، (4)منها طويلة وواحدة قصيرة

المديد: استعمله إلا في قصيدتين (2) بشكله التام بنسبة 0.56% " [1]

نلاحظ من خلال الجدول مايلي:

- تنوع البحور في شعر محمد العيد آل خليفة، مما يدل على عبقريته الشعرية
- البحور المستعملة بنسبة كبيرة هم على الترتيب :الكامل ،الطويل ،البسيط ،الخفيف.

1- إبراهيم لقان: م ن، ص172.171.170.

تحليل الجدول:

إن إقبال محمد العيد على البحر الخفيف لم يكن اعتباطيا أو صدفة وإنما هو نابع مما لبت عليه نفسه من حساسية مرهفة، ورقة متأصلة، وقد عرف هذا البحر برشاقته، وخفته في الذوق والتقطيع، وتميز موسيقاه بوقعها النازل الذي يتناسب مع الموضوعات الذاتية، وتوافق إيقاعه مع المشاعر ذات الطابع الحزين ومواطن التنكر والوجع.

يحتل البحر الكامل في شعر محمد العيد نسبة كبيرة، وهذا يرجع إلى الحالة الشعرية للشاعر، فان بين الوزن و الحالة الشعورية علاقة وطيدة، لا يمكن إنكارها فثمة أوزان تتلاءم مع الانفعال الهادئ الرصين وحالات التأمل و الاستيطان الذاتي.

ويمتاز هذا البحر بموسيقى هادئة، رصينة، وجزالة، وحسن إطراء تفعيلاته (متفاعلن)ست مرات تجعله يتناسب مع الموضوع القومي و الإصلاحي.

كما نجد البحر الطويل يحتل نسبة كبيرة أيضا، ومن المعلوم أن البحر الطويل له مكانة مرموقة في الشعر العربي القديم، فان البحر الطويل قد نظم منه بقرب من الثلث الشعر العربي، وانه الوزن الذي كان القدماء يؤثرونه على غيره، ويتخذونه ميزانا لأشعارهم.

يعود انصراف الشعراء المعاصرين عن البحر الطويل إلى طبيعة إيقاعه الموسيقي المتكون من التفعيلات الممزوجة ما يتطلب من الشاعر معرفة دقيقة بالعروض فانصرفوا إلى البحر الكامل المعروف ببساطة إيقاعه، لأنه من البحور الصافية.

إن شعر محمد العيد آل خليفة عندما نقراه نجده قد زخر كذلك بكثير من ظواهر الموسيقى الداخلية كالتصريح و الجناس و الطباق والمقابلة والتكرار بحيث انه وظفها في التعبير عن مشاعره، ونقلها إلى سامعيه والى قراءه والتأثير فيهم.

فقد أدرك محمد العيد قيمة التصريح، فاهتم بتجويد مطالع قصائده لان ذلك أول ما يقرع السمع، فيجد طريقة إلى النفس.

ونتناول نموذج من شعر محمد العيد لنتبين دور التصريح في التأثير على السامع وجلب الانتباه ومن ذلك قصيدته (وقفة على قبور الشهداء) التي ألقاها سنة 1966م بمناسبة عيد الأضحى، وموضوعها أمر الترحم على أرواح الشهداء:

"رحم الله معشر الشهداء وجزاهم عنا كريم الجـــــزاء

وسقى بالنعيم منها ترابا مستطابا معطر الاجـــــزاء

هذه في الثرى قبورهم حوتهم أم قصور تسمو على الجوزاء؟

أيها الزائرون ساحة طهر قدسي وعزة قعســـــاء

قد وطأتم ما طاب منها فطبتم و سعدتم بزورة السـعداء " [1]

فبالإضافة إلى الاتفاق الحاصل بين نهايتي (شطر البيت الأول) (الشهداء – الجزاء)، تنبعث نغمة موسيقية من تكرار حروف معينة في النص كحرف السين الذي لم يخل منه بيت، ويوحي بجو الموقف الرهيب والسكون الذي يخيم على المكان، ثم تتابع حروف المد في الأسماء (الشهداء – الجزاء – تراب مستطاب – الأرجاء ...)، مما أضفى على النص طابع القوة، وهي كعبر عن انفعالات الشاعر ومن الجناس نجد ذلك في قصيدته (**استوح شعرك**) ، حيث يقول:

"**أبناؤك أشبال فيك تزاوروا وتزاؤروا في الغيل منك بمسمع** " [2]

فالجناس قائم بين لفظتين (تزاوروا) من الزيارة و(تزاءروا) من الزئير، فالأولى توحي بالاتحاد والثانية بالقوة والشجاعة وهو المعنى الذي أراده الشاعر.

ومن الجناس أيضا نجده حيث استعان محمد العيد بالكثير من الألفاظ القرآنية الأكثر دلالة وجناس بينهما ليعبر بهما عن معانيها من ذلك قوله في قصيدة (الترحيب بالحجاج):

" **وطوبي لعبد صادق الدين صادع به لا يبالي به أن يقال تعصبا.**" [3]

1- العيد محمد(آل خليفة) : الديوان،ط1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، مطبعة البعث قسنطينة،1967،ص435.
2- العيد محمد(آل خليفة) : م ن، ص 143.
3- العيد محمد(آل خليفة) : م ن، ص195.

فالجناس هنا نجده بين (صادق وصادع)، حيث أن الثانية مقتبسة من القران الكريم وذلك في قوله تعالى :

" **فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين.** " [1]

وهو جناس لا يقتصر على اتفاق اللفظين في النطق وما يحدثه من اثر، بل يحمل دلالة معنوية في الصدق في قول الحق، والجهر به بدون خوف .

كذلك من الظواهر التي برزت في شعر كثير من الشعراء ومنهم محمد العيد آل خليفة، ظاهرة التكرار، وهي تعني تكرار بعض الحروف أو الكلمات أو العبارات ففي القصيدة بدافع معين أو إظهار نزعة معينة كالفرح والحزن، أو الرضا والسخط أو لعرض التنبيه إلى قضية أو فكرة لتثبيتها في نفوس المتلقين، أو الإلحاح على فكرة معينة في القصيدة أكثر من غيرها.
والأمثلة كثيرة في شعره لا يتسع المقام لذكرها، ولكن نكتفي ببعضها،
ففي قصيد يخاطب فيها الشباب بمدرسة بسكرة سنة 1947م يقول:

"أنت من عنصر الخلود لباب كن إلى المجد طامحا يا شباب
يا شباب اتجه إلى الشرق وأحفظ كل كنز إليه انتســـاب
إنما الشرق نسبة العرب الاحـــــ رار لم تنقطع لها أســـباب
إنما الشرق للعروبة كهف امن الظل بالأذى لا يصـــــــــــــــــــــــــــاب
إنما الشرق للعروبة وكر من بينها تؤمه أســـراب
إنما الشرق للعروبة ورد بارد الماء سائغ مستطـــاب. "[2]

وقد كرر أسلوب (النداء يا شباب) مرتين لغرض التنبيه ثم كرر(إنما) أربع مرات لغرض التوكيد كرر كلمة (الشرق) خمس مرات، العروبة (العروبة) أربع مرات ليؤكد على امتداد الجزائر العربي والإسلامي ويكذب كل مزعم يخالف ذلك وكان هذا التكرار في القصيدة كلازمة نغمية (موسيقية) حاول أن يضبط على أساسها مشاعر السامعين.

1- سورة الحجر، الآية 94 .

2- العيد محمد(آل خليفة) : الديوان،ط1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، مطبعة البعث قسنطينة،1967 الجزائر، ص260،259.

من أهم خصائص شعر محمد العيد آل خليفة :

يكاد شعره يخلو من تصوير لعواطف الشاعر وأحاسيسه الذاتية و في هذا الصدد يقول " **إن ذلك الموقف الذي اتخذته، شعره ذات القومية الجماعية.** " [1]

وذلك المنهج الذي التزمت به في شعري إنما هو تعبير عن وجدان الأمة، واني وإن كنت قد قلت في بعض الأشخاص فلأني كنت اعتبر ذلك جزءا أساسيا من عملي الوطني "**و القومي .**" [2]

ومثال ذلك قوله:

"نحن الدعاة إلى الحسن فما احد منا بمجترح للشعر مجـــــــــــــــــــــــــــــــترم

إلا فقل للذي بالحرب فاجأنـــــــــــــــــــــــــا لا تلق بالحرب من يلقاك بالـــســـلم

وقل لمن نالنا بالظلم منتقمـــــــــــــــــــــــــا حذار من نائل بالعدل منتـــــــــــــــــــــــــقم" [3]

"إن اللغة التي استعملها في شعره هي لغة الرغبة الجادة في التبليغ، لا لغة الزخارف و الأصباغ التزيينية والتلاعب." [4]

ج) الصورة الفنية:

1- اللغة:

إن المتأمل لشعر محمد العيد آل خليفة يجده يتميز عن باقي الشعراء بميزة وهي كيفية توظيفه اللغة والأسلوب والخيال والإيحاء، ولهذا فان اللغة تعتبر أداة تواصل بين مختلف الشعوب أو الأفراد، أما اللغة الشعرية التي استخدمها محمد العيد وذلك قبل التطرق إليها، و يجدر بنا أن نشير إلى مدلول ومفهوم اللغة الشعرية بصفة عامة، ذلك أن اللغة هي البوابة التي يدلف بها منها إلى عالم النص الرحب، وان أي فهم له لا بد أن يتم بالقراءة الصحيحة لمعجمه الذي لا يعدو أن يكون إلا " **نتاج تراكم وتحصيل لعدد كبير من النصوص.**" [5]

1- محمد، ابن سمينة: محمد العيد آل خليفة، دراسة تحليلية لحياته،ص137(بتصرف).

2- محمد، ابن سمينة: م ن، ص140.
3- عيسى، حاجي: شعر محمد العيد آل خليفة، شاعر الوطنية، د ت، د ط، ص32.
4- عمر، ابن قينة: في الأدب الجزائري الحديث،تاريخا وأنواعا وقضايا وأعلاما، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر،،1969،ص69.
5- السد، نور الدين:الأسلوبية وتحليل الخطاب،ج2، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع الجزائر،1967،ص97.

هذه النصوص ترسخت في ذهن الأديب ثم تفاعلت وتمخضت لينتج عنها نص ما.وإذا كانت اللغة بالمفهوم العام، كما يرى ابن جني " **حد اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم.**" [1]، أو هي وسيلة أو " **أداة للتواصل.**" [2]

فان اللغة الشعرية كما يعرفها العقاد هي اللغة التي " **بنيت على نسق الشعر في أصوله الفنية والموسيقية فهي في جملتها فن منظوم منسق الأوزان والأصوات لا تنفصل عن الشعر في كلام تألفت منه، ولو لم يكن منه كلام شعراء.**" [3] .

وبناءا على هذا فان اللغة تكون أما وسيلة لبلوغ غاية وهي المعنى، وأما تكون وسيلة وغاية في حد ذاتها وفي هذا العمل الأدبي، ولهذا فهي تقوم بوظيفتين أساسيتين، إما أن تكون أداة لنقل الحقائق العلمية يراد من خلالها إلى التوصيل والتبليغ، ولكنها إضافة إلى ذلك قد تؤدي وظيفة انفعالية عند التغيير عن العواطف والأحاسيس، وفي هذه الحالة تكون غاية في حد ذاتها يرقى بها أصحابها إلى منزلة فيها مهارة وبراعة، وخصائص جمالية تستريح بها النفوس وتتلذذ بها الأذان.

إذا اللغة لها دور كبير في الشعر، فإذا كان الشعر يتكون من العناصر الآتية : الفكرة والعاطفة والصورة والأسلوب، إذن فاللغة هي الأداة الفنية لبناء هذه العناصر وهي"**مجموعة من الألفاظ تحمل خصائص يمكن أن تتغير من شاعر لآخر في مصدرها المستقاة منه، وفي درجة قوة معانيها، وفي تجاورها أي في التراكيب مما يؤدي إلى ما يسمى بالأسلوب.**" [4]

ونظرا لأهمية اللغة ودورها في الحكم على الشعر سلبا وإيجابا، رأينا أن نقف على هذا الجانب الفني الهام من شعر محمد العيد القومي متتبعا بعض الخصائص التي تميز لغته الشعرية.

1- ابن جني،الخصائص: نقلا عن حماد احمد عبد الرحمن، العلاقة بين اللغة والفكر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر 1985، ص18.

2- محمد ناصر، بوحجام:اثر القران في الشعر الجزائري الحديث، نقل عن بيطام مصطفى،الثورة الجزائرية في شعر المغرب العربي(1954-1962) دراسة موضوعية فنية،ديوان المطبوعات،الجزائر ص98.

3- عباس، محمود العقاد: اللغة الشاعرة،ص8.

4- صالح يحي: شعر الثورة عند مفدي زكريا، ص363.

الطابع ا لتقليدي:

مما لاشك فيه أن اتجاه محمد العيد الأدبي هي اللغة البيانية القديمة وقد استطاع بفضل تكوينه العربي الإسلامي أن يملك ناصيتها ويروض قوافيها، ويعد من القلة القليلة التي استثمرت التراث الأدبي واقتدى به في أساليبه البيانية الرائعة.

والمتتبع لديوان محمد العيد يلاحظ ارتباطه بالمعجم الغوي الشعري العربي القديم، حتى وان كانت الموضوعات التي يعالجها حديثة، ومن أمثلة الشعر الذي يشبه معجم القصيدة القديمة بكل خصائصها الفنية قوله في قصيدة (أيا فتية العلم شدوا العزم):

"اليوم أسدي على نول من الأدب مطار في من خيوط الشمس الشهب

النازلين كقطر الغيث منسكبا في ظل قطر لهم بالبشر منسكـــــــــــــــــب

الزاحفين لغارات النهى طالبا والجامعين عليها الهم في الطلـــــــــــــــــب."[1]

فالمتأمل لكثير من الكلمات التي وظفها الشاعر من يدرك أنها كانت متداولة في قصائد أبي تمام، والمتنبي وغيرهما مثل (الشهب، مطار في، خيوط الشمس)، هذا بالإضافة إلى القدرة على التصوير التي تجلت في التشبيه المفصل (تشبيه العباقرة بقطر الغيث)، وفي طرق تحسين الكلام (كالتصريع) في البيت الأول، والجناس بين (قطر، قُطر)، بالإضافة إلى جزالة الألفاظ وقوتها مثل(العباقرة، الصيانة، النازلين، الزاحفين).

ومن ملامح تقليدية اللغة عند محمد العيد طريقة الاستهلال في بعض قصائده، التي بدأها على شاكلة امرىء القيس في مطلع معلقته:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

يقول محمد العيد في قصيدة (تحية الشهاب للشباب):

"خليا عنكما حديث احتجابـــــــــــي عرجاني على العلا عرجانـــــــــــــــــــي

اركبا بي النجاح وخوضـــــــــــــــــا بي عباب الإصلاح فهو عبابـــــــي

واطلبا بي رغائب الشعب إني في سبيل العلا وقفت طلابـــــــــــــــــي." [2]

1- العيد محمد(آل خليفة) : الديوان،ط1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، مطبعة البعث قسنطينة،1967،ص231.

2- العيد محمد(آل خليفة) : م ن، ص87.

فهو يخاطب صاحبيه المفترضين أو الحقيقيين كما جرى ذلك التقليد بين الشعراء القدامى، أما أهم ظاهرة من الظواهر اللغوية عند محمد العيد آل خليفة، هي منبعه القرآني والذي يمد نصوصه بالكثير من التضمينات القرآنية، في شكل تحويلي إلى جمل قرآنية ذات دلالات عميقة أحيانا وفي شكل ألفاظ بعيدة عن مفهوم التضمين المتعارف عليه.

ومن كل هذا نستنتج أن العناية بالقاموس القديم من طرف محمد العيد، وباقي شعراء القومية والإصلاح عملية مقصودة وهي شكل من أشكال المقاومة نظرا لما أصاب اللغة العربية من تدمير على يد المستعمر " **فشعراء الإصلاح باعتبارهم رجال علم وفكر إصلاحي رأوا في اللغة العربية أمرا مقدسا، لأنها لغة القران، فالتجديد فيها أو الخروج مقاييس القدماء أو الثورة على قوالبها يعد خروجا عن المقدسات.** " [1]

ولقد كانت المرحلة التي عاشها محمد العيد وأمثاله مرحلة بعث، لا قوافل لها كثيرا من المحن المتعلقة بمصير هويتهم لغيرهم من الشعراء العرب، مما جعلهم يتمسكون بقوة بكل ما يشدهم نحو تراثهم وبذكر أجدادهم ،فكان " **الأسلوب التقليدي بلغته الفصحى لغة القران ولغة بني العرب، كان في ذاته ظاهرة قومية اتسمت بالإجلال والتقديس فلم يكن من الممكن أن يصدر الشعراء أي نزوع جاء نحو قطع الصلة أو أضعافها بذلك التراث العريق في مثل هذه المرحلة من حياة العرب.**" [2]

وإيمانا منه برسالة الشعر في معالجة قضايا وطنه وأمته، تحرى محمد العيد آل خليفة اللغة السهلة البسيطة، والمعاني الميسورة المأخذ، والصور القريبة المنال، والجمل السهلة التركيب، المرتبة العناصر.

1- بوقرورة عمر: الغربة والحنين في الشعر الجزائري الحديث1945-1962، منشورات جامعة باتنة، دت، ص195.
2- الدقاق عمر: الاتجاه القومي في الشعر العربي، ط3، جامعة حلب، سوريا 1977، ص452.

فقارئ شعره في الغالب لا يحتاج إلى قاموس لغوي لفهم الألفاظ والمعاني، ولكن هذه السهولة لم تكن حائلا دون جمال شعره، وقوة تأثيره "**وإذا كان محمد العيد أميل إلى الجزالة لفظا وتركيبا فانه لم يكن يميل إلى الغريب من اللغة إلا إذا وقع في التركيب لفظا يناسب المكان.**" (1)

فأدب محمد العيد هو أدب المواطن الاجتماعي البسيط،العامل المضطهد الفقير، المناضل في السر والعلن الذي يعمل لأجل قضية وطنه وليس أدب شعراء البلاط والقصور الذين يقول عنهم مالك حداد: " **إن شعراء البلاط والقصور قد خانوا المثل الإنساني إلا على الذي يزعمون أنهم يمثلونه، كما خانوا الشعر الذي يدعون أنهم حملة لوائه.** " (2)

3-الأسلوب:

ونحن تعرضنا لأسلوب محمد العيد،فإننا نجده سهل الألفاظ، بسيط التعبير، سليم التراكيب، واضح الفكرة، قريب الصورة، فهو أسلوب متأثر بتربية الشاعر ونشأته وظروفه وظروف وطنه وأمته العربية لان الحياة الأدبية بجميع جوانبها، تتفاعل مع الظروف الاجتماعية والسياسية وتتأثر بها، لهذا لم يكن أسلوبه من الأساليب الرفيعة، ولا من أساليب الساقطة، فهو كغيره من شعراء الجزائر وأقرانه اختاروا النمط، "**الأوسط الذي ارتفع عن الساقط السوقي**" (3)

لم يرق أسلوبه إلى الأساليب القوية الجزلة، و يعود ذلك للتأثير السلبي للبيئة الثقافية الوطنية، وترديها بسبب سياسة الاستعمار وضعف الحركة النقدية، على هذا الأساس فان الأسلوب في نظر محمد العيد أو الشكل الشعري الذي اختاره هو موقف الثبات من أحداث الواقع الذي فرضه الاستعمار.

وبناءا على هذا فان الدارس لشعر محمد العيد آل خليفة والمتمعن في أسلوبه نظمه للشعر يمكنه أن يقف على الخصائص التالية:

1- دوغان احمد، شخصيات من الأدب الجزائري المعاصر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر1989، ص29.

2- إبراهيم لقان: ملامح المقاومة ضد الاستعمار في شعر محمد العيد آل خليفة، دراسة فنية، رسالة ماجستير، جامعة منتوري قسنطينة، لم تنشر،2007،ص141.

3- الرفاعي احمد: الشعر الوطني الجزائري، 1925-1954، ص204.

أ- المباشرة والتقريرية:

إذا رجعنا إلى شعر محمد العيد من باب الإنصاف، نجد أن شعره لا يخلو من الأدوات الفنية التي تستمد منها قيمتها كالرمز والموسيقى والصورة الشعرية وإنما هو كما يرى (محمد ناصر) له مستويان من الأسلوب " **إننا لاحظنا فرقا جليا بين لغة النصوص التي كتبها محمد العيد تحت إلحاح المشاعر الذاتية الخالصة، وبين لغة تلك النصوص التي يقف فيها أمام جمهوره في مناسبة أو عيد.** " (1)

أما بالنسبة للنصوص الأولى فانه قد تخطى فيها محمد العيد الدلالة المعجمية للألفاظ التي وظفها، وفجر فيها أبعادا جديدة كما هو الشأن في قصائده الذاتية " **أين ليلاي، يا ليل، يا هزاري، يا فؤادي، يا بحر.** " (2)

أما بقية النصوص الأخرى التي كان يقف فيها أمام جمهوره فقد تميزت بالتقريرية والمباشرة والوصف والتشخيص للواقع الذي يحمل الشاعر على تغييره، ومن ثم فان المواضيع الاجتماعية والسياسية التي كانت محل اهتمام الشاعر فرضت عليه ذاك الأسلوب وللدلالة على هذه السمة يكفي أن نورد هذه القصيدة التي بعنوان (بلادنا أسيرة) والتي يصور فيها الشاعر وضع البلاد وأحوال العباد:

" أزرى بنا الذل يا خليلي فهل إلى العز من سبيل؟

بلادنا أصبحت ذلولا أسيرة في يد الدخيـــــــــــــــــــــــــــل

وحكمنا اليوم شر حكم وجيلنا اليوم شر جيـــــــــــــــــــل

متى نرى قائدا حكيما يبين عن رأيه النبيـــــــــــــــــــــــــــل؟" (3)

فالقصيدة واضحة اشتملت على استعارة في البيت الأول وعلى تشبيه بليغ، ولم يخرج الشاعر عن الأساليب القديمة في بقية الأبيات.

1- ناصر محمد: الشعر الجزائري الحديث، اتجاهاته وخصائصه الفنية ،(1925-1975)ط1،دار الغرب الاسلامي،1985، ص283.

2- العيد محمد(آل خليفة) : الديوان،ط1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، مطبعة البعث قسنطينة،1967،ص41،45،49،54،63.

3- العيد محمد(آل خليفة) : م ن، ص347.

ب- شيوع النبرة الخطابية:

نقصد بشيوع النبرة الخطابية شيوع أسلوب معين في شعر محمد العيد، وهذا الأسلوب يحمل من سمات الخطابة وخصائصها أكثر مما يحمل من سمات الشعر، مع العلم أن هذه الفنون الأدبية يميزها عن بعضها البعض ما تحمله من خصائص، فحينما نقرا قصائد الشعراء الجزائريين عامة،والكثير من قصائد محمد العيد خاصة نشعر أن ما يفرق بينها وبين الخطابة هو الوزن و القافية الملتزمة فقط، فأما ما عدا ذلك فهو من صميم أسلوب الخطابة، تسيطر كثير من العناصر التي توحي بذلك، مثل طابع الوضوح الذي يكتسي القصيدة واستعمال أحرف التنبيه، والمزاوجة بين الأسلوبين الخبري والإنشائي، حيث يكثر الاستفهام والنداء والتعجب والأمر والنهي، وتتعدد أغراضها البلاغية تبعا لحالة الشاعر أو حالة السامعين، ويكثر الاقتباس والتضمين من القران الكريم، ومن الحديث الشريف.

ولتوضيح ذلك نسوق هذا النموذج لمحمد العيد من قصيدة ألقاها في حفل الجمعية الخيرية بالعاصمة سنة 1935م يقول:

" **الحمد لله معطي الحسينيين معا لكل حزب على طاعته اجتمعـــــــــــا**

الحمد لله ما في الصالحين أخ منا أجاب أخا للصالحات دعـــــــــــــا

آمنت أن عصور الخير مقبلة لا ريب في صدق برق قبلها لمعا

يا أيها الناس انتم في السلالة من أب وأخ فكونوا أخوة شرعـــــــــــــــــــــا

لا تقطعوا لا تخونوا في معائشكم ما ألف الله أنسابكم ورعـــــــــــــــــــــا

لا تزرعوا الشر فالأيام محصدة كل امرئ حاصد فيها الذي زرعـــــا

ما بال قوم إليها اخلدوا سفها اثروا فوقها اللذات والمتعـــــــــــــــــــــا

مال بال قوم على مولاهم اجترؤوا حتى إذا اقتض منهم أعولوا جزعـــــــا." [1]

إن هذه الألفاظ التي وردت في القصيدة وتكررت أحيانا (الحمد لله، يا أيها، فكونوا، لا تقطعوا، لا تخونوا، لا تزرعوا، ما بال قوم)، هذه الألفاظ تناسب خطب الوعظ التي كان الشعب الجزائري في لمس الحاجة إليها في تلك الفترة.

1- العيد محمد(آل خليفة) : م ن، ص254.

وكما هو معروف فان لكل ظاهرة أسبابها، وأول أسباب شيوع النبرة الخطابية في شعر محمد العيد هي مواجهة المرحلة التاريخية الصعبة والمتمثلة في الاستعمار الداخلي بالنسبة للجزائر وللاستعمار الخارجي بالنسبة للدول العربية، والذي وجد الشاعر نفسه في مجابهته

– كغيره – منخرطا في الحركة القومية والإصلاحية، هذه المجابهة التي كانت تقتضي إسماع الصوت لكل جزائري ولكل إنسان عربي ليحدد مسؤوليته من الواقع الراهن.

وثاني الأسباب هو ارتباط شعر محمد بالمناسبات الدينية والاجتماعية والسياسية التي كانت تنشطها جمعية العلماء في نشاطاتها الشاملة ، "**ولقد كانت المناسبات الاجتماعية والأعياد الدينية التي تنظمها الحركة الإصلاحية غالبا، الحافز الأساسي لكتابة الشعر.**" [1]

و لإبراز ذلك يقول أبو القاسم سعد الله في هذا الجانب: " **ولعل هذه ابرز ميزة في شعره فان أكثر من ثلاثة أرباعه كان مرتبطا بمناسبة تاريخية أو اجتماعية أو وطنية.**"[2]

وفي اعتقادنا أن شعر محمد العيد ومعاصريه يجب أن يحكم عليه بالنظر إلى ذاته وملابساته، فلا يراعي في نقده إلا هو نفسه، دون النظر إلى مواكبته لتطور الآداب ومسايرة مقتضيات الفن في عصره أو عدم مسايرتها، فظروفه خاصة وتقسيمه يجب أن يكون كما يرى الرومانسيون " **الأدب يجب أن يحكم عليه بالنظر إلى ذاته وملابساته، فلا يراعي في نقده إلا هو نفسه إذا وجدنا فيه ثمار فان وجود هذه الثمار يلغي ما قد يوجد به من أشواك، (أي المحاسن تزيل مواطن الضعف).**" [3]

1- ناصر محمد: الشعر الجزائري الحديث، اتجاهاته وخصائصه الفنية ،(1925-1975)ط1،دار الغرب الإسلامي،1985،ص290.

2- سعد الله، أبو القاسم محمد العيد آل خليفة رائد الشعر الجزائري في العصر الحديث،ط2دار المعارف بمصر 1968، ص290.

3- إبراهيم لقان: ملامح المقاومة ضد الاستعمار في شعر محمد العيد آل خليفة، دراسة فنية، رسالة ماجستير، جامعة منتوري قسنطينة، لم تنشر،2007،،ص148.

إذن فشعر محمد العيد آل خليفة بمقياس عصره يعتبر حديثا، إذا ما قارناه ببعض ما عاصره كما عبر عن ذلك ابن قتيبة قديما:

" **ولم يقصر الله العلم والشعر والبلاغة على زمن دون زمن، ولا خص به قوما دون قوم، بل جعل ذلك مشتركا مقسوما بين عباده في كل دهر، فجعل كل قديم حديثا في عصره**" [1]

أما من حيث مستواه فقد سلم من الانحطاط الفكري، ومن ضعف التأليف وأخطاء الإعراب، ومن خلل الوزن الذي تميز به كثير من الشعر في عصره إلى حد بعيد، كما سلم من الوصف الذي أطلقه رمضان محمود على الشعر سنة 1927م " **نعم انك لا ترى في هذه السنين الأخيرة إلا مخمسا ومسطرا ومعارضا ومحتذيا ، ومادحا وهاجيا ومتغزلا ومسمطا أو غير ذلك.**" [2] كما اعتباره جديدا لأنه كان ثورة على الأوضاع الثقافية والاجتماعية والسياسية التي سادت لوقت طويل، واتخاذه النموذج القديم في شكل القصيدة ولغتها وأسلوبها ونوع من البعث الحضاري الذي لا ينطلق إلا على أسس كما هو شأن كل نهضة أدبية .

تلكم بعض الخصائص العامة في شعر محمد العيد، وهناك خصائص أخرى سبق الإشارة إليها في الجزء السابق من هذا البحث، وتبقى خصائص أخرى نشير إليها- إنشاء الله في دراسة الصورة الشعرية والموسيقى عند الشاعر.

1- ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج1، تحقيق وشرح احمد محمد شاكر، دار المعرف، القاهرة، مصر، (دت)،ص63.

2-حمود، رمضان: بذور الحياة، طبعة تونس، 1928، ص105.

يعتبر محمد العيد ال خليفة من الشعراء الذين اتصفوا بعدة مميزات في التعبير عن اسلوبهم ومن خصائص اسلوبه مايلي:

I. الالفاظ: اتسمت الفاظه بمايلي:

- السهولة
- التكرار
- استعماله الواسع لادوات الاستفهام
- اتجاهه للطبيعة وانتقاءه لالفاظ وكلمات قادرة على التعبير.

II. الموسيقى الشعرية: كان للموسيقى الشعرية دور كبير في شعر محمد العيد وذلك حين استعملها في بعض قصائده ونوع بين اثنين من الموسيقى هما:

1. الموسيقى الخارجية:
   - البحر
   - الوزن
   - القافية.
2. الموسيقى الداخلية:
   - التصريع
   - الجناس
   - الطباق
   - المقابلة

III. اللغة والاسلوب:

1. اللغة :
   - سهلة وبسيطة
   - تميل الى الجزالة تركيبا ولفظا
   - استخدامه للغة بسيطة قديمة.
2. الاسلوب:
   - سهل الالفاظ وبسيط التعبيروسليم التراكيب
   - قريب الصورة وواضح الفكرة
   - استخدام المباشرة والتقريرية
   - شيوع النبرة الخطابية.

خاتمة :

لقد درس البحث موضوع الاتجاه القومي في الشعر الجزائري واخترنا شعر محمد العيد آل خليفة كنموذج من أجل دراسته ،وبالتالي توصلنا في بحثنا هذا إلى الخلاصة التالية:

- أن موضوع القومية موضوع قديم في الشعر العربي إلا أنه تطور على يد شعراء قاموا ببحوث ودراسات حول هذا المفهوم ومنهم **محمد العيد آل خليفة.**
- إن تدهور الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية في الوطن العربي عامة والجزائر خاصة إبان الثورة،انعكست سلبا على الشعب الجزائري من جميع النواحي
- ان ظاهرة القومية لم تكن في الجزائر فحسب بل شملت البلدان العربية أيضا.

وأصبح الشعب الجزائري مذهولا،حائرا،مضطربا،قلقا،لا يدري ماذا يفعل إلى أن بعث الله رجلا مصلحا استطاع أن يخرج الأمة العربية والجزائرية خاصة بفضل آرائه الإصلاحية والقومية من الانهيار الحقيقي وهو ابن باديس وفي هذا الوقت برز شعراء وأدباء أمثال محمد العيد آل خليفة للمساهمة في الحركة القومية والإصلاحية لمساعدة الشعب الجزائري.

وقد تناولنا في بحثنا هذا القومية وأنواعها والأماكن التي تناولنا فيها الدراسة كما اشرنا إلى التطور التاريخي لها ممثلين بأنموذج للشاعر المذكور سابقا ببعض من قصائده القومية وأثرها في نشر الوعي القومي من دون أن ننسى الإشارة إلى حياته واهم أعماله وكذا تناولنا جانب آخر والمتمثل في الجانب الفني الذي قمنا فيه بدراسة المعجم الشعري والصورة الفنية والموسيقى الشعرية لبعض من مقطوعاته الشعرية القومية.ومن النتائج المتوصل إليهاهي:

-أن فكرة القومية ظهرت في أروبا وبعدهانمت وانتشرت لتشمل البلدان العربيةعامة والجزائر خاصة.

-بروز شعراء جزائريين نادو بضرورة التمسك بالدين والوطن والعروبة والإنسانية.

-تأكيد الشعراء الجزائريين أمثال "**محمد العيد ال خليفة**"لفكرة القومية والمتمثلة في الدفاع عن اللغة العربيةووجوب التشبث بهابإعتبارها مقوم يحفظ للجزائر شخصيتهاالوطنية.

- وفي الأخير نرجو أن نكون قد وفقنا ولو بجزء ضئيل في إعطاء صورة واضحة عن هذا الموضوع في شعر محمد العيد، الذي لا يزال غامضا في بعض جوانبه على الرغم من شهرته لدى الدارسين، ولله الحمد من قبل ومن بعد، فهو ولي التوفيق والهادي إلى سواء السبيل والذي بنعمته تتم الصالحات.

قائمة المصادر والمراجع

*** القران الكريم برواية ورش.**

أ- المصادر:

1- العيد محمد(آل خليفة) : الديوان،ط1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، مطبعة البعث قسنطينة1967.

2- ابن سمينة، محمد: العيديات المجهولة، تكملة ديوان محمد العيد آل خليفة،المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية،الجزائر 2003.

3- مفدي زكريا : اللهب المقدس ، الشركة الوطنية للإنتاج والتوزيع الجزائر.

ب- المراجع:

1-الإبراهيمي، احمد طالب: آثار الإبراهيمي،ط1،ج2،دار الغرب الإسلامي، بيروت،لبنان،1997.

2-إبراهيم لقان: ملامح المقاومة ضد الاستعمار في شعر محمد العيد آل خليفة، دراسة فنية، رسالة ماجستير، جامعة منتوري قسنطينة، لم تنشر،2007.

3-افتتاحية بول سال: مفاهيم القومية والحالة العربية، العدد الثالث، أيار _ مايو 1995.

4-اليزابيث: الشعر كما نفهمه ونتذوقه،ترجمة محمد إبراهيم **الشوس**، مكتبة ميمنة ببيروت،1961.

5-بوحجام، محمد ناصر:اثر القران في الشعر الجزائري الحديث، نقل عن بيطام مصطفى،الثورة الجزائرية في شعر المغرب العربي(1954-1962) دراسة موضوعية فنية،ديوان المطبوعات،الجزائر.

6-بوقرورة عمر: الغربة والحنين في الشعر الجزائري الحديث1945-1962، منشورات جامعة باتنة، دت.

7-حاجي، عيسى: شعر محمد العيد آل خليفة، شاعر الوطنية.

8–حسن، فتح الباب: مفدي زكريا شاعر العروبة والإسلام في الجزائر، مجلة الأدب الإسلامي، العدد 18،ا لمجلد 5، 1419.

9–حمود، رمضان: بذور الحياة، طبعة تونس، 1928.

10– ابن جعفر،قدامة: نقد الشعر ط3،تحقيق كمال مصطفى، مكتبة الخانجي،القاهرة، مصر1979.

11– ابن جني،الخصائص: نقلا عن حماد احمد عبد الرحمن، العلاقة بين اللغة والفكر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر 1985.

12– خرفي صالح: الشعر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر1984.

13– الدقاق عمر: الاتجاه القومي في الشعر العربي، ط3، جامعة حلب، سوريا 1977.

14– دوغان احمد، شخصيات من الأدب الجزائري المعاصر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر1989.

15– الرفاعي احمد: الشعر الوطني الجزائري، 1925–1954.

16– الركيبي، عبد الله : قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر، المؤسسة الوطنية للكتاب ،عام 1983.

17– السد، نور الدين: القضية الجزائرية عند بعض الشعراء العرب، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1986.

18– السد، نور الدين:الأسلوبية وتحليل الخطاب،ج2، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع الجزائر،1967.

19– سعد الله ،أبو القاسم : محمد العيد آل خليفة رائد الشعر الجزائري في العصر الحديث،ط2، دار المعارف بمصر، 1968.

20– سعد الله ،أبو القاسم: شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة،الدار العربية للكتاب ط3. 1989.

21- سعد، الله أبو القاسم: دراسات في الأدب الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر1985.

22- سفر الحوالي:القويمة العربية ، مكتبة مشكاة الإسلامية.

23- سلمان (نور):الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير،ط1، مكتبة لبنان ناشرون،2004.

24- ابن سمينة، محمد: محمد العيد آل خليفة، دراسة تحليلية لحياته.

25- ابن سمينة، محمد: شخصيات لها تاريخ ، محمد العيد آل خليفة، المؤسسة الوطنية للكتاب 1989.

26- عباس، محمود العقاد: اللغة الشاعرة.

27- عبد الدايم، صابر: موسيقى الشعر العربي بين الثبات والتطور،ط3، مكتبة الخانجي،القاهرة.

28- عبد الله، عزام: القومية العربية.

29- فؤاد نعمات: خصائص الشعر الحديث، دار الفكر العربي، 1971.

30- ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ج1، تحقيق وشرح احمد محمد شاكر، دار المعرف، القاهرة، مصر، (دت).

31- ابن قينة، عمر: في الأدب الجزائري الحديث،تاريخا وأنواعا وقضايا وأعلاما، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

32- ابن منظور: لسان العرب، ج 11.

33- ناصر، محمد: الشعر الجزائري الحديث،اتجاهاته وخصائصه الفنية،(1925-1975)ط1،دار الغرب الاسلامي،1985.

34- نازك الملائكة:قضايا الشعر العربي المعاصر، دار العلم للملاسين ، بيروت1981،ط6.

35- يحي، صالح: شعر الثورة عند مفدي زكريا.

36- يحياوي، محمد الطاهر: أحاديث في النقد والأدب،شركة الشهاب، الجزائر،1990.